

محمود تيمور

محمود تيمور .. في ضميرنا الادبي

بقلم الدكتور سيد حامد النساج

* * *

تعودنا في كثير من الاحيان ، ان يكتب اديب شاب عن زميل له شاب او ان يحاضر ناقد متمرس في موضوع يتصل بعالم كبير أو أديب له من الانتاج الفني ما يحتاج الى اكثر من محاضرة ، في اكثر من جانب من جوانب أدبه وفنه وفكره وحياته .

بمعنى ان الاقربين سنا ومرحلة حياة وقطاع عمر ، وربما طبقة وثقافة وقرابة لون من الوان الفنون ، هم احق الناس — في الاغلب الاعم — بالحديث عن رفاقهم في الطريق ، او اقرانهم في الفن ، و اصدقائهم في الحياة او النضال او المكايدة والمعاناة .

وقلما الفنا ناقدا شابا يتحدث ويكتب بحب واجلال وشغف عن اديب تجاوز الخامسة والسبعين بثلاثة اعوام . وليس ذلك فقط ، بل ان الفارق الكبير في السن ، تستتبعه مجموعة اخرى من الفوارق التي لا تقل عنه قوة ووضوحا وتأثيرا وفاعلية .

فثمة فارق مادي ، واخر طبقي ، وثالث عقائدي ، ورابع فكري ، وكلها قادرة على ان تحدث فعلها في زيادة حدة الانفصال لا الاتصال ، وفي تعميق الخلاف لا الائتلاف ، وفي توسيع هوة الافتراق لا الاتفاق ، مما يوصد الباب امام أي أمل للالتقاء .

ومعروف ان محمود تيمور نشأ في أسرة اكثر ما فيها الثروة المادية ، والكتب الادبية واللغوية والفنية والعلمية والدينية ، الى جانب النفوذ والجاه والسلطة ، وهي عوامل ساعدت على ان توضع هذه الاسرة في قمة البنيان الطبقي والسلم الاجتماعي .

ولا يخفى ان اباه العلامة المحقق احمد تيمور ، وعمته الشاعرة عائشة التيمورية ، وأخاه الاديب القصصي المسرحي محمد تيمور . وقد

● هذه المحاضرة كتبها الاستاذ الناقد الاديب الدكتور سيد حامد النساج المنتدب استاذا لكرسي الادب العربي في جامعة ((وهران)) في الجزائر ، وقد القى المحاضرة في مدينة ((فاس)) بالمغرب في ١٨ — ٢ — ١٩٧٢ وأعاد القاءها بعد ذلك في مدينة ((تطوان)) .

وجد أديبنا الكبير داخل نطاق أسرته الرعاية الفنية ، والتوجيه المعنوي ، والتقدير الذي يعزيه عن اعراض البيئة عن انتاجه ، كما وجد الثراء المادي يعوضه عن انتظار الكسب المادي من أدبه .

بينما ترعرعت في احضان الفقر : يهددني حينا بانقطاع النفقات الدراسية ، ويشاغلني حينا بالتوقف التام عن الدراسة ، ويداعبني حينا اخر بوفاة والدي وأنا بعد لم استكمل دراستي الثانوية ويكافئني اخيرا بأشقاء صغار ، وشقيقات صغيرات في حاجة الى والي، وانا بعد لم أتجاوز العشرين .

انها بيئة اظهر ما فيها الالم المستمر ، والبؤس المتصل ، والشقاء العظيم ، واكثر ما يشغلها التفكير الدائم ، والبحث الشاق عن قوت الغد ، وكيفية العثور على لقمة العيش .

وجعلتني هذه الحياة استشعر حقيقة المأساة التي تعيشها الطبقات الفقيرة والمطحونة في اي مجتمع . وكان طبيعيا ان تقود تلك الظروف خطاي الى الاطلاع على كل ما يتصل بالفكر الذي يؤمن بضرورة البحث عن حل جذري يستهدف اتاحة الحياة الكريمة ، والعدالة الاجتماعية ، والمساواة الاقتصادية بين العاملين . والذي يستشرف لغد امثل يعيشه الناس جميعا على المستوى العالمي بلا صراع ودونما تناقض او تطاحن .

كما حول ظلام البؤس عيني عن قراءة الادب الذي يمجد البورجوازية ، ويصف حياتها ، ويصور قيمتها ، ويجسد سلوكها ويحتفي بتقاليدها ويطالب باحتذائها ومحاكاتها . وانعطفت نفسي بالوعي الى الادب الواقعي الذي يرتبط بالمجتمع وقضاياه ومشكلاته وآلامه . والذي يؤدي وظيفة عضوية حيوية ، بحيث يساعد على ان تسير الحياة الاجتماعية وفق مبادىء العدل والحق والخير والشرف والانسانية ومكافحة شرور الاستبداد والفاقة والخبث واللارحمة .

واتخذت حماستي للادب الواقعي شكلا عدائيا للادب الرومانسي الصادر عن كتاب بورجوازيين ، يعيشون حياة تختلف عن حياة الجماهير ، ويفكرون تفكيرا خاصا ، ويتطلعون تطلعات معينة ، يسعون بالوعي او باللاوعي نحو تحقيقها ، تضيق آفاق الرؤية امامهم ، نتيجة تأملهم الذاتي المقترن بفوضى التفكير المنفصل عن حركة الواقع ، ولدورانهم في محيط الفردية التي تتحول الى تمركز حول ((الذات)) و ((الانا)) ..!

وفي دراستنا الادبية بالمرحلة الثانوية قدمت لنا قصة من قصص اديبنا الكبير محمود تيمور ، كنموذج للقصة القصيرة المكتملة ، التي توفر فيها الاسس البنائية ، والخصائص الفنية . ووجدتني أسارع بتحليل القصة ، ونقدها ، واستبطان مضمونها ، على اساس انها صادرة عن كاتب ارستقراطي ، ينتمي الى الطبقة البورجوازية التي اتردد الف مرة ومرة قبيل ان اقبل على قراءة عمل من اعمالها .

وتصادف اني في مساء ذلك اليوم عثرت على احدى المجلات ، وكانت تنشر تحقيقا صحفيا مع كاتبنا ، تناول ثروته على الخصوص ، وطريقة زواجه الارستقراطي ، ونمط حياته ، واسلوب معيشته ، مذ كان شابا . وطالعت صوره وافراد اسرته واحفاده ، كما عرفت من التحقيق عنوانه . ولعل اوضح ما اثارني واستفزني ان التحقيق كله كان يدور حول تأكيد فكرة ((الاديب)) الواسع الثراء !

فلم انتظر حتى يجيء الصباح ، وانما خططت له رسالة نقدية — اعترف ان بها كثيرا من القسوة — تناولت تلك القصة بالتحليل ، وأبديت رأيي بطبيعة الحال ، ثم ختمت الرسالة بتساؤل عن مدى واقعية القصة ، وصدق الكاتب في تصوير الحدث ومعالجة الموضوع ومعايشة الشخصية .

والحق اني فوجئت اذ تلقيت — وانا في اعماق قريتي البعيدة عن العاصمة — بعد ايام قلائل رده المهذب الذي يبدي فيه احترامه لرأيي وتقديره لوجهة نظري . وان اختتمه بنصيحة مؤداها الا اجعل الادب

شغلي الشاغل ، وان ابتعد عن التفكير في جعله مهنة أتعيش منها .

لكني لم التفت لهذا النصح ، ولم اكتف بتلك القصة ، وانما رحت افتش في مكتبة المدرسة عن مجموعات قصصية ، او روايات طويلة له . واذكر اني صادفت آنذاك « كل عام وانتم بخير » و « الشيخ عطا الله » و « مكتوب على الجبين » و « احسان لله » و « فرعون الصغير » و « قلب غانية » . وعكفت على التهام هذه المجموعات ، متأملا قصصها ، متفهما احداثها ، متعرفا الى شخوصها ، ثم معايشا الموضوعات التي تدور حولها .

وادهشني للوهلة الاولى اني لم اشعر ان الكاتب يريد من قصصه ارضاء فصول طبقته ، بالتعبير عن اهوائهـا واغراضها ، عن طريق تقديم صورة لحياتها اللاهية العابثة التي تحياها ، او لحياة اكثر لهوا وفجورا وعبثا تتمنى ان تعيشها . فلم يكن حريصا على ان تحمل قصصه في اعطافها كل الملامح والصفات والقيم التي تعتنقها الطبقة البورجوازية ، ارضاء لها من جانب ، وتلهية للجمهرة القارئة من ابناء قوى الشعب حتى لا يفكروا في قضاياهم الاساسية ومشكلات حياتهم اليومية من جانب اخر ، ثم استدرارا لاموال الجمهرة القارئة من جانب ثالث ...

وبدا لي كاتبا لم يهلك متسمما بثناء البورجوازية عليه ، لانه لم يهدر مواهبه في كتابة قصص هينة هدفهـا ايقاظ الغرائز الحسية لاصحاب الدخول الثابتة الذين يقرأونها عقب وجباتهم الدسمة .

ومنذ ذلك الحين عزمت على الاتجاه الجاد نحو دراسة القصة القصيرة ، مستهدفا معرفة الدور الذي تلعبه في تصوير المجتمع وحاجاته وقيمه . واضعا في اعتباري ان المجتمع متغير متطور متحرك ، وهو في حركته وتغيره وصيرورته ، في حاجة الى الفن الذي يحتضن ادق جزئيات حياة الفرد داخل المجتمع ، ويبرز الواقع كحقيقة متحركة ومتطورة ، ويكون نتاج فاعلية الانسان ، وردود الفعل التي تنعكس في وجدانه .

وتبين لي ان القصة القصيرة هي الفن الذي يعطينا الواقع في نسيجه الدقيق ، وفي تعقد اللحظة الزمنية ، وفي تفتيتها في وقت واحد . الى جانب انها نوع من الكتابة الفنية الذي يتأثر بالاحداث اليومية في المجتمع ، اذ تلتقط لحظة من اللحظات العابرة في حياتنا وتعمقها ، ثم تسير بها في مجرى واحد ينتهي باستكشاف معانيها والقاء الضوء على مغزاها . وان الاحداث الاجتماعية والاقتصادية والانسانية والفكرية تجد في هذا الفن خير صدى ، بما له من مرونة وطواعية وقدرة على مسايرة المجتمع في تطوره ونموه وفي حركته المتصلة المستمرة الصاعدة .

ومن ثم كان بعض الانعطاف نحو الاديب الذي بلـغ مرحلة التخصص في القصة القصيرة ، حتى امتاز بها ، وقصر مباحثه عليها ، وتفرد فيها ، خاصة وان اختياره هو الاخر لفن القصة القصيرة لم يأت عبثا او انقيادا لمدرسة فنية او اتجاه معين ، بل كان انجذابه اليها عن وعي بها ، وتفهم لرسالتها ، واستجابة نفسية عميقة .

بل انا نجده يتحدث عن القصة القصيرة حديث العاشق لهـا ، المغرم بهواها ، الذي يكن لها في قلبه كل حبـه واحترامه ، ويشبهها بالحب الاول الذي تمكن من قلبه فلم يدع لـه فرصة لحب سواها ، يقول :

« لكن موقفي من القصة القصيرة كان كما يقول الشاعر :

أتاني هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليـا فتمكنا

واظنني ما زلت على هواي للقصة القصيرة مصداقا لقول الشاعر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول (١)

١ ـ « ظلال مضيئة » ـ محمود تيمور ـ مكتبة النهضة المصرية ط١ ١٩٦٣ ص ١٧٣ ـ ص ١٧٤ .

وعلى هذا النحو التقينا على حب هـذا الفن الجديد في ادبنا العربي . والاشتراك في حب الفن خير مذيب للفوارق ، وأيسر طريق للتعاطف ، واقرب وسيلة للاندماج ، لانه لا تشوبه شائبة من مصلحة ، ولا يعكر صفوه شيء من حقد وكراهية .

وكنت اراسله بين حين وحين . واشهد انه لم يتخلف مرة واحدة في الرد علي ، واذا ما حال القصور المادي بيني وبين شراء المجموعات القصصية الخاصة به ، لم يتوان لحظة عن ان يمدني بما احتاجه من كتبه ومؤلفاته .

وصاحب اهتمامي بالقصة القصيرة صراعي من اجل البقاء ومواصلة الدراسة ، والانفاق على افراد الاسرة في آن معا .. وظللت أصارع في سبيل لقمة العيش جنبا الى جنب مع حرصي الشديد على ان اكون طالبا متفرغا بالجامعة وقد ساعدني على ذلك تفوق في الدراسة الثانوية ، هيأ لي الالتحاق بالجامعة وفضلا عن مجانية التعليم بالنسبة للمتفوقين علميا ، هناك مكافأة مادية شهرية تمنح لهم تكريما لامتيازهم ، فاعتبرتها والاسرة راتبا شهريا تعيش في حدوده ولا تتخطاه .

وشغلني جوع العقل الطامح في العلم ، وخواء المعدة الراغبة في كسرة خبز ، عن الكتابة لتيمور بعض الوقت . لكني كنت اتابع كتاباته وقصصه ومؤلفاته التي كانت تصدر تباعا ، بمثل ما كان يتذكرني بين لحظة واخرى ، فيهدي الي كتابا من كتبه ! وما ان بلغت الليسانس حتى طلب الينا ان يقدم كل منا بحثا في الادب العربي الحديث ، فاذا بي اختار « القصة القصيرة في ادب محمود تيمور » موضوعا لبحثي الذي حصلت به على تقدير « ممتاز » !

وتخرجت في الجامعة وانا بعد لم التق بتيمور وجها لوجه ، ولم اختلف اليه او اجلس معه . وكنت اخشى ذلك تماما . اذ لم اكن أتصور ما الذي يحدث عند لقاء ايجابي أتوقعه منذ اثنتي عشرة سنة .

وكنت حتى ذلك الحين ، لا املك امكانيات تؤهلني للحكم على تيمور لان محيط بحثي الصغير تناول نماذج من قصصه في المرحلة الاخيرة من تطوره الفني ، بعد قبوله عضوا بالمجمع اللغوي عام الف وتسعمائة وخمسين . وكنت كلما سألت نفسي بيني وبين نفسي : هل عرفت تيمورا ؟ وجدتني أبادر بالاجابة صادق مخلصا صريحا : لا !

فتيمور كاتب متعدد الجوانب ، يحتاج الى دراسات ودراسات، ويستلزم رسالة مفردة تدرس أدبه ، وفنون هذا الادب عنده ، والمناخ الفكري والثقافي الذي عاش فيه ، واسهامه العظيم في تطور الادب العربي الحديث ، ان في القصة القصيرة ، او في الرواية ، او في ادب المسرح ، او في ادب الرحلات ، او في الدراسات الادبية واللغوية التي عرف بها !

ويبدو ان كلمة « لا » لم تجيء فقط متفقة مع واقع تيمور الادبي وغزارة انتاجه ، وانما كانت ملائمة لمرحلة من حياتي شهدت زيادة فضولي ، وتواصل حب الاستطلاع لـدي ، وعمق وعيي بالمجتمع ، وتشبث بالادب الذي يصور كفاحه لنيل حريته ورفع مستواه وتبصيره بمواطن القوة ومواضع الضعف ، وتمهيد السبيل الى تطوره ودفعه الى الامام في طريق التقدم الانساني .

كذلك فان الاجابة بـ « لا » و « ألف لا » حتمتها طبيعة المرحلة التي كان مجتمعنا يمر بها ، حين شهد في عام ١٩٦١ بداية مرحلة جديدة كل الجدة ، تناولت بالتغيير كثيرا من الدعائم والركائز التي كان يستند اليها ، ونقلته من محيط الثورة السياسية ذات الاهداف المحددة والمركزة ، الى عالم الثورة الاجتماعية والاقتصادية التي لا يقف تأثيرها عند حد معين ، وانما يمتد فيشمل العلاقات التي تسود ، والقيم الاخلاقية والاجتماعية ، والنظم ، والقوانين الدستورية، والمؤسسات الانتاجية ، واساليب ممارسة الحياة ، والثقافة ، والفكر، والبناء الطبقي ، والتنظيم السياسي ، بمعنى ان دور الثورة الاجتماعية كان قد بدأ بالفعل بعد تراجع الاستعمار وهزيمة الحصار

الاقتصادي ، اذ انفسح المجال امام معركة العدالة الاجتماعية .

وكان هذا الواقع الجديد يحتاج فيما يحتاج الى الكاتب الذي يحس بانه مسؤول امام مجتمعه . وانه امامه ، يقوده ويرشده ويوجهه وينشد صلاحه وخيره ، ويستنهض سواد الناس ويبصرهم بحقوقهم .

واغراني الوضع الاجتماعي الجديد بتتبعه والكتابة عنه ، كما شدني تيمور الذي لم اشف غليلي بعد منه باستكمال التعرف اليه واصدار كلمة فيه . بمثل ما استهوتني بقوة القصة القصيرة فن العصر وقلبه الخفاق ونبضه الحق المتدفق . وكانت الغلبة لها ولتيمور ، من حيث ان العلاقة بينهما علاقة تلازم ووجوب . فانتهيت الى تقرير دراسة تجمع بين الرفيقين . وكأني أردت بذلك ان اضرب عصفورين بحجر واحد .

ورأيت ان اتتبع الخطوات الفنية التي مر بها فن القصة القصيرة منذ نشأته حتى استوائه ونضجه عند محمود تيمور ، على ان اتقدم بهذه الدراسة لنيل درجة علمية جامعية بعد الانتهاء منها .

واصبح لا بد مما ليس منه بد . فلم يعد ثمة مجال للانتظار . وغدا السعي نحو الالتقاء به امرا تحتمه الضرورة العلمية ، وتفرضه طبيعة البحث ، ولم لا وهو « رفيق القصة القصيرة ، استهوته في بواكير صباحا فسايرها ، ومارس تجاربها ، وتذوق حلوها ومرها واحس ضعفها وقوتها ، وكابد معها ما لقيت في طريقها من محن ، وما وقعت فيه من اخطاء ، وما تهدف اليه من اغراض » . (٢)

ورغم ذلك فاني بقيت لفترة اخشى من المفاجأة ، واحسب لها الف حساب ، واطرد صورتها من خيالي . وظللت على هذه تصطرع في اعماقي عوامل شتى : بعضها نفسي ، واغلبها فكري ، واقلها اجتماعي، واعظمها طبقي حاد .

وفي الخامس عشر من شهر ديسمبر ١٩٦٢ يوم الاحتفال بعيد العلم ، كنت أقف ضمن طابق طويل من المتخرجين في الجامعة ، نحضر تكريم الدولة للعلم والعلماء ، والادب والادباء ، والفن والفنانين ، ابتداء من اصغر تلميذ في المرحلة الاعدادية ، وانتهاء بابرز الكتاب واشهر الاعلام في كل فرع من فروع المعرفة الانسانية . واذا بي ارى تيمورا وهو يمنح وسام الاستحقاق من الطبقة الاولى ، تقديرا لدوره في تطور الادب الحديث ، وفن القصة منه بصفة خاصة . وهكذا التقينا دون ان يشعر احدنا بالاخر . في لحظة تجمع بين الجيل الرائد ، والجيل الجديد الصاعد ، بين الذين عاشوا واقعا مفروضا بالقوة ، وبين هؤلاء الذين يبتغون تغيير واقعهم .

وكان كل شيء في القاعة يؤكد ذوبان الفوارق الطبقية والمادية والاجتماعية فالاضواء تسلط على الجميع بلا استثناء ، لانهم متفوقون ونابغون وممتازون ، في كل ميدان تخصصه . تحطمت كل السدود المنيعة ، والحواجز الصلبة ، والحيطان العالية ، التي تفصل الانسان عن اخيه الانسان ، والتي تفتت انسانية البشر ..

هذا هو محمود تيمور ، وها أنذا . هو من اجل ريادته في الادب، وانا بسبب تخصصي وتفوقي في الادب الذي اشار علي بالابتعاد عنه ، وعدم الاقتراب منه . ولا شك ان هذه اللحظة التي احتفلت بلقائنا الروحي ، خففت من حدة القلق والتردد والخوف والتوتر الذي انتابني .

وعندئذ عقدت العزم على اقتحام عالمه بشكل او باخر . فكتبت له رسالة اهنئه فيها ، واذكره بنفسي ، واطلب تحديد موعد للقاء ، بعد ان عينت له السبب الكامل من وراء رغبتي تلك . وكعادته دائما وافاني برده العاجل ، مستجيبا مرحبا .

وفي طريقي اليه ، قطعت المسافة من القرية الى العاصمة مفكرا فيما يمكن ان يقال او يثار في جلستنا ، متوقعا لها ان تطول وتطول لما توهمته من خلاف في الرأي ، وتباين في المذهب ، وتناقض في العقيدة، وما شابه ذلك ، لكن شيئا من هذا لم يحدث ، لان الجلسة لم تطل ، وكان همزة الوصل بيننا ذلك البحث الذي حملته معي وأهديته اياه ، فتقبله شاكرا جهدي .

ولست ادري ما سر الدافع الذي جعلني ـ وانا جالس معه ـ استشعر لاول وهلة تشابها معينا بين تيمور وبين اديب روسيا تولستوي . الذي نبت في احضان قصر ريفي كبير كان والده يملكه في ضيعة « ياسنايا بوليانا » باقليم « تولا » في روسيا . وهو الآخر ينتسب الى أسرة من الاسرات الروسية عريقة الحسب والجاه ، يرجع اصلها الى القرن السادس عشر . وتبادر الى ذهني حلم تولستوي في ثورة من الداخل ، مؤسسة على الضمير الذي لا يتزعزع . ناتجة عن تخلي الاثرياء عن ثرواتهم ، والمتبطلين عن بطالتهم طوعا واختيارا ، واعادة تقسيم العمل توا على المعنى الحقيقي الطبيعي الذي جعله الله: الا يجور احد على عمل آخر ، وان يكون لكل مثل ما لغيره من الحاجات .

انها ثورة نفوس لا ثورة ايدي ، تمكن كل انسان من ان يعيش من عمل يديه فقط . وهذا يفسر لنا كيف انه تنازل عن لقبه وضيعه الواسعة التي ورث فيها ثلاثة آلاف فدان ، وثلاثمائة من الفلاحين ، فوزع عليهم الارض ، وعكف على تعليمهم . يأكل مما يأكلون ، ويرتدي من الثياب ما يرتدون ، ويرتق حذاءه بيده . فقد شغل بأعمال الخير، والتزم البساطة المتزايدة في عيشته وحياته .

وكاني وانا اتامل صفحة وجه تيمور ، واتابع كلماته القلائل ، واضبط تعبيراته واراقب انفعالاته الهادئة ، كنت اقرا قصة اشهر ادباء روسيا في عصر القيصر وابعدهم تأثيرا في نفوس الملايين من الناس ، فكلا من تولستوي وتيمور يتميز بنقاء الفكر ، واعتدال المذهب ، والاعتكاف ، والهدوء ، والبعد عن الاشتراك في الحركات السياسية العنيفة ، وكلاهما اقرب انتماء الى الحب والتعاطف واشدهم نفورا من الشغب والضوضاء والجلبة والمقاومة العنيفة للنظام الاجتماعي .. غير اني سرعان ما طردت هذه الخواطر مؤثرا عدم التسرع في الحكم . فبقدر ما هنالك من دلائل الانسجام في الطباع والميول والرغائب وحب الخير والانسانية ، هناك غير قليل من التوافق في العقيدة والمبدأ والايمان والسلوك .

ثم دار بيننا حديث قصير حول موضوعات متعددة ، ليس من بينها ابدا ما كنت انوي الاستفسار عنه . وربما اكون قد آثرت معرفة كل ما يتصل بادبه وفكره من تحليلي لانتاجه ، فهو الاقدر على كشف الملامح ، وابراز العلائم والتفاصيل ، وتوضيح ادق الخوالج والتعابير . وقد احسست ان شخصية تيمور كانسان وفنان اقدر على الحديث عن نفسها في الفن قبل أي شيء آخر . ففضلت التزام هذا الطريق وحده للانتهاء منه اما الى قبوله رائدا واستاذا وصديقا عزيزا مفضلا ، واما الى رفضه كاتبا وفنانا مهما بلغ شأوه وعلا صيته .

وتشهد السنوات الثلاث التي اعقبت ذلك اللقاء اننا لم نلتق الا لماما وفي منتدى عام ، وربما لا تتعدى المرات التي رأى فيها كل منا الاخر عدد اصابع اليد الواحدة ، فقد اجتمعنا مرة في نادي القصة ، واخرى بادارة المجلات بوزارة الثقافة ، وثالثة في المجلس الاعلى للفنون والآداب ، ورابعة في نقابة الصحفيين ، وخامسة في لقاء ثقافي كانت تعقده وزارة الثقافة بين الادباء الكبار والجمهور ، وكان تيمور هو موضوع الحلقة .

اما ما عدا ذلك فاني احببت اعمال اديبنا التي كان ينشرها في الصحف والمجلات منذ بداية عهده بالكتابة الادبية ، والفت مؤلفاته التي بلغت السبعين : منها خمسة وعشرون مجموعة قصصية ، وعشر روايات ، وست عشرة مسرحية ، واربعة في ادب الرحلات ، ومثلها تتضمن خواطره ، واحدى عشرة دراسة ادبية ولغوية وهو انتاج يدل

---

٢ ـ « دراسات في القصة والمسرح » ـ محمود تيمور ـ مكتبة الآداب ١٩٤٥ ص ١٢١ .

دلالة واضحة على ان تيمورا كتب القصة قصيرة ، ومطولة ، وكتبها للقراءة وللمسرح . واستلهم في كتابتها روح العصر مرة ، واحداث التاريخ مرة ، وطوف بالمدينة احيانا ، وبالريف احيانا ، وبالبادية اخرى . ومشى في دروب الواقع خطوات ، وحلق في آفاق الخيال شاوا بعد شاو . واستجاب لهواتف شتى من مسرات واحزان ، وخلا من سرائر النفوس ما استطاع ان يجلو . وعالج من مشكلات الحياة ما تيسر له ان يعالج .

ويلاحظ الدارس لتيمور انه كان في بداية حياته الفنية يعمل جهد استطاعته على رسم صورة امينة للحقيقة التي كان يراها . فنقل شخوصه عن الواقع نقلا ، والتزم الدقة في هذا النقل ، وحاول ان تكون موضوعاته من العالم الذي يعيش فيه ويتاثر به . ولم تسيطر عليه فكرة معينة آنذاك نحو تصوير الخير فقط ليتمثل به الناس ويحتذوه ، او تجسيد الشر وحده ليبتعد عن ارتكابه الخلق ويحتقروه، ولكنه حاول تصوير الحقيقة الموجودة .

جنبا الى جنب عاش في قصصه افراد الريف الفقراء ، وابناء الطبقات الشعبية التي تعيش في الاحياء الوطنية من المدينة ، وشخصيات من البيئة الارستقراطية بما كانت تتمتع به من ثروات وقيم هابطة في كثير من الاحيان . ويننوع تيمور في وصفه لشخوص البيئات الشعبية والريفية ، فيقدم شخصيات سوية ، واخرى شاذة في سلوكها غريبة في تصرفاتها ، كما يكشف عن شخصيات تكمن في اعماقها بعض القيم ، ليوضح انها وان كانت تعيش في بيئة تسيطر عليها ملابسات اقتصادية ضيقة ، الا انها تتشبث بأهداب مثل عليا وقيم اجتماعية يندر وجودها في البيئة الارستقراطية .

ونراه في تصويره للطبقة الارستقراطية في المدينة يركز على عيوب تلك الطبقة ، ويظهر امراضها ، ويجسد مساوئها . ففيها توجد مجالس اللهو ، وينتشر الوباء والتزلف ، ويتوفر المتحذلقون والمتعاظمون والمغرمون بفضح عيوب الناس وخفاياهم ، فيكون ذلك ذريعة لستر عيوبهم هم . وغير هذا كثير مما أجاد وصفه وتصويره اجادة بالغة لم تكن متوفرة لغيره ممن لم يندمج في مثل طبقته اندماجا كليا .

وعندما يتناول تيمور هذه الطبقة الثرية ماديا ، المسيطرة اداريا وسياسيا ، المستعلية اجتماعيا ، انما يبغي من وراء ذلك تبيان التباين الفاضح بينها وبين غيرها من الطبقات الشعبية الفقيرة ، واستكناه عدم التوافق الاجتماعي الذي ساد العلاقات الاجتماعية . وربما غلف تقديمه لشخوص هذه الطبقة الارستقراطية نوع من عدم الاشفاق عليها ، والكراهية لها ولما تتمسك به من عادات وتقاليد . وتقديمه لشخصية « سلامة افندي » في قصة « هي الحياة » (٣) خير شاهد على ما نقول.

ويدل اختياره لنوعية الشخوص على موقفه من هذه الطبقة . ذلك ان معظم الشخوص التي ينتخبها مصابون بداء العظمة القاتلة لا مشتهى لهم في الحياة غير الزينة والملبس . يتعلقون بأوهام تافهة ، ويضيعون وقتهم عبثا ، ولا قيمة لهم في دفع المجتمع وتطوره والنهوض به ، كما يريد تيمور ان يقول . و « شفيع بك » في قصة «المغفل» (٤) نموذج قوي لذلك .

وثمة ظاهرة تجد تيمورا يتميز بها دون غيره من الكتاب الرواد في هذا الفن . تبدو من تناوله للشخوص الشواذ الذين ينتمون الى طبقات دنيا ، ويرتكبون آثاما وجرائم ، فهو انما يعالجهم معالجة العطوف عليهم ، الشفوق على ما طرأ على حياتهم وافعالهم من ظروف خارجة عن ارادتهم ، فجعلتهم يسلكون سبلا غير مشروعة . وغالبا ما يقول في هذا الصدد : « لا اقسو على ضعيف مال به الحظ ، ولا امالىء قويا دانت له الغلبة ، ولعلي كنت اجنح الى لون من المواساة للضعف البشري كما اجنح الى التهوين والازدراء بالتطاول والعنف والخيلاء » (٥) .

وتقوده هذه المرحلة من حياته الفنية الى مرحلة اخرى يتجه فيها نحو النفس البشرية اذ يكثر من القصص التي تدور حول الصراع النفسي الباطني ، والتي تتصل بالانسان من حيث هو انسان تصطرع في داخله غرائز متعددة ودوافع كثيرة ينجم عنها السلوك الاجتماعي . وكأنما ادرك الفارق الكبير بين الكاتب الذي يرضي نزعة في نفسه ، ويشبع زهوه ، ويتملق وطنيته ، ويغالي في الاعتزاز بالصبغة المحلية ، وبين ذلك الذي يجعل النفس البشرية موضوعا : يحللها ، ويسبر اغوارها ، كي يصور ادق خلجاتها ، ويرد ما يجيش في عقل الانسان وصدره من عواطف وخواطر وانفعالات الى اسبابه وبواعثه الحقيقية . وادى به هذا الى ان يهجر الاحتفال بالمظهر الخارجي ، وتحديد الملامح والقسمات الظاهرة . واصبحت القصة القصيرة عنده وكأنها لوحة نفسية زاخرة بصراع العواطف ومتباين الاحاسيس والانفعالات . وغدت قصصه تعالج المشكلات النفسية للافراد ، وتدور حول الغرائز ومدى استحكامها في تصرفات الافراد وسلوكهم وانفعالاتهم، كغريزة حب التملك ، وحب الاستطلاع ، وحب البقاء والسيطرة والمقاتلة ، الى غير ذلك من الاستعدادات الفطرية النفسية ، والدوافع السيكلوجية التي تدفع الفرد الى ادراك اشياء من نوع معين ، والشعور ازاءها بانفعال خاص عند ادراكها . ويتجلى هذا التطور في قصص : (المحكوم عليه بالاعدام ـ أبو عرب ـ الرجل المريض ـ حسن اغا ـ نجية ابنة الشيخ ـ جريمة حب ـ الى الجنة) وغيرها وغيرها .

وتجاوز الامر حدود الابداع الى مطالبة الكتاب بالكشف عن اللاشعور وملابساته وما يعتمل فيه . يقول في ذلك : « وان كاتبا يقتصر على العقل الواعي ، فيما يزاوله من عمله الفني ، لهو كاتب يقنع بقشور الظواهر ، ويكتفي بالمعالم الطافية ، فلا يخرج من ذلك الا بصورة زائفة ، وسراب كاذب ، لا يغنيه عن حقيقة الحياة شيئا . فاما ان استطاع الكاتب ان يتخطى اسوار العقل الواعي ، فانه يجد في يده المصباح السحري ، ينير له طريقه ، فتنكشف له الشخصيات سافرة غير متنكرة ، وتتجلى له الدوافع التي تحرك تلك الشخصيات ، وتريدها على مختلف انواع السلوك » (٦) .

ولئن كان تيمور ينمو نحو التحليل النفسي ، فانه ظل محتفظا باصالته في حرصه على ان يكون التحليل من خلال الاحداث والتصرفات التي يرصدها ثم يوحي في خفة وسرعة بدلالتها النفسية العميقة التي قد تضرب في الفرويدية او غيرها من مذاهب التحليل النفسي ، ولكنه لا يتفلسف ولا يبالغ ولا يعمي الدلالة الموحية باية اصطلاحات فلسفية او سفسطة تحليلية . وبمعنى آخر فانه يتعمق حقائق الاشياء دون ان يظهر تعمقه للقراء ، ودون ان يقول للقارىء بسفور : « انظر الا ترى معي أني قد بحثت فاحسنت البحث ، واستقصيت فاحسنت الاستقصاء » .

ولعل النجاح الذي حققه تيمور في هذا الاتجاه هو الذي يفسر لنا تمسكه به حتى الان ، ايمانا منه بان السبيل الى العالمية لن يتحقق للكاتب الا اذا جعل الانسانية شغله الشاغل . يؤكد ذلك في كتابه « القصة في الادب العربي » الذي صدر مؤخرا ، حيث يقول « فالمفكر العالمي ، في ادبه القصصي مثلا ، هو الذي يخاطب الانسان حيث كان ، يتلمس اعمق مشاعره ، ويستجيب لاخفى هواتفه ، هو الذي يستطيع ان يتصيد ما بين اوصال البشرية جمعاء ، حول الحياة في مجالاتها الفساح ، من عاطفة مشتركة ، ويسجل ما في قلبها من

---

٣ ـ انظر القصة في مجموعة (الشيخ جمعة) ١٩٢٥ ـ ص ٩٨

٤ ـ انظر صحيفة (الفجر) العدد ٣٦ ـ ٢٠ سبتمبر ١٩٢٥ ـ ص ٣

٥ ـ مجلة (الآداب) العدد ٩ ـ سبتمبر ١٩٦٠ ـ ص ١١ ـ ١٢

٦ ـ « دراسات في القصة والمسرح » ـ محمود تيمور ١٩٤٥ ص ١٢٨

خفوق موحد ، ويؤدي ذلك اداء شائقا جذابا فيه امتاع » (٧) .

وقصارى القول ان تيمورا التزم الجانب الانساني في قصصه القصار ، واصبح يضع في اعتباره الاول ان الانسانية هي اهم قيمة فنية لا بد من توافرها في العمل القصصي حتى يكتمل نضجه واستواؤه، وليغدو عالميا يقرؤه الناس في كل مكان ، ويتذوقونه على اختلاف ميولهم ومشاربهم واجناسهم . كما انه طفق يساير المجتمع بقصصه ، ويشاكل حضارته ، ويواكب ثقافته ، ويترجم في صدق ويسر عن عواطف أمته . وهكذا استطاعت القصة على يديه ان تشق طريقها الى القلوب والافكار والاذواق ، وان تتخطى كل العقبات من التباين اللغوي ، والتحالف المذهبي ، ومن تعدد القوميات والجنسيات !!

وما ان وصلت عند هذا الحد في بحثي مقارنا بين ما انتهت اليه القصة عند تيمور ، وبين ما صارت اليه عند الذين سبقوه ، حتى تاكد لي ان اجماع النقاد على انه مؤسس فن القصة القصيرة في الادب العربي الحديث ، هو الحق بعينه .. انهم لم يختلفوا قط على ابوة محمود تيمور لهذا الفن في ادبنا ، ولا على استاذيته فيه .. واجمعوا على انه وحده يعد مدرسة متكاملة . على مائدته عاش اكثر كتابها يقرأون له ، ويعيشون مع شخوصه ، وتبهرهم طريقته في المعالجة والوصف ، والسرد ، والحوار ، واختيار الموضوعات .

غير اني ادركت بعد كل ما توصلت اليه ان تيمورا في كل احاديثه الصحفية والاذاعية يعلن انه لم يبلغ بعد في هذا الفن حد الكمال اذ الكمال لله وحده ، وعلى الرغم من اعتراف النقاد جميعا بمكانته فانه يرد على من يسأله : ما رأيك في نفسك ؟! قائلا : « تلميذ تستطيع ان تنكر عليه في ادب القصة العبقرية والنبوغ . ولكنك تهضمه حقه ان انكرت عليه الاجتهاد ، فهو دائب المراننة ، دائب التحصيل ، دائب التفكير فيما ينقله الى الامام مرحلة بعد مرحلة . وهو مطمئن الى سلامة خطاه بيد انه غير قانع بما قطع من شوط » (٨) .

معنى هذا انه يصر على مداومة الانتاج ، ويجتهد في الخلق ويدأب على القراءة والبحث والتنقيب ، وهو ما يضطر الباحث الى الانتظار طويلا طويلا حتى يصرح هو بانه اصبح قانعا بما قطع من شوط .. ولما وجدت ان المسألة بهذا الشكل ستطول امام هذا الاديب الانسان المتواضع الذي يعتبر نفسه تلميذا لا يملك الا اجابة واحدة يصد بها كل سائل له : « كيف اصبحت قصصيا » ، فيقول : « وهل أصبحت قصصيا حقا ؟! »

واذا بي باللاوعي هذه المرة انهي رسالتي خفية ، واتقدم بها الى الجامعة سرا حتى لا يبلغه الخبر فيعلن مزيدا من تواضعه الذي قد يعطل المناقشة او يؤجلها او يلغيها . واقر الان واعترف اعترافا صادقا اني اخفيت عنه كل ما يتصل بنتائجي في البحث . ثم تمت المناقشة ، وبعدها بثلاثة اعوام طالع تيمور مع غيره من القراء رأيي فيه عندما صدرت الرسالة في كتاب مطبوع . ومنذها والاتصال الفكري والادبي بيننا لا ينقطع ، والرسائل تنقل الى كل منا مشاعر الاخر واحاسيسه ، وتضبط خطواته ، وتعلن عن اخباره . وبعدها ايضا لم اكتب عنه كلمة واحدة ، ولم اذع بشأنه حديثا . وكاني اعطي لنفسي فترة من الراحة ، اواصل بعدها تتبع انتاجه ، ودراسة بقية جوانبه، والوان الادب الاخرى التي اسهم فيها .

ومع ذلك فان هذه الفترة التي توطدت فيها صداقتنا ، اثبتت لي ان القصة القصيرة ليست وحدها هي التي عملت وساعدت على التقريب بيننا . وانه لا يسعني بعد هذا الشوط الطويل الذي قطعته معه اديبا وفنانا ومفكرا وانسانا ، الا ان اعلن عن اكتشافي لملامح اتفاق ، تلمستها بوضوح وجلاء .

فمحمود تيمور يوافقني على ان الفن لا يولد من لا شيء . ويؤمن بالعلاقة الوثيقة التي تربط الادب بالمجتمع والبيئة والحياة . ويذهب الى ضرورة ان يستجيب الفنان المخلص لفنه لما يحيط به من مختلف البواعث والمؤثرات ، حتى يصدق تعبيره عن البيئة والمجتمع .. فيقول: « الفن الاصيل هو غرس البيئة ونبت الحياة ، اعني انه وليد المجتمع، قلبه الخفاق ، روحه الوامضة ، احساسه المتوهج ، انتفاضته الشاعرة ، فيه تتجمع اخفى الخوالج لهذا المجتمع ، بما يحويه من آمال وآلام . وان فنا يتكامل فيه الاخلاص والصدق والقدرة ، لهو فن يجد فيه المجتمع احسن ما يبغيه من غذاء وشفاء .. » (٩)

ولعل هذا هو الذي يبرز لنا كيف انه لم يحصر نفسه في طبقة بذاتها ، ولم يخلق لنفسه حصونا بقيمها ضد الحياة ، لانه لم يعتبر الفن متاعا وفيرة لفريق من الناس دون فريق . ولم يفصل بينه وبين الحياة ، وانما احس بكل ما في حياة الغير من ألم وأمل وسعادة وشقاء وشارك حياة الاخرين بوجدانه ، ولنفعل بحياتهم ، وادرك روح الاشياء، وامتزج بها فامتزجت به ،وفكر خلالها ففكرت خلاله . انه لا يمتص تجربته الذاتية فقط كما يمتص الطفل قطعة الحلوى ، لان الناس عادة لا يرضون عن فنان يوزع عليهم قطع الحلوى بدلا من قطع التجربة الانسانية التي تنتفض بالحياة والفن معا ...

ومحمود تيمور يصرح للنقاد حين اختلفوا في شأن الادب : هل يكون هادفا او غير هادف ، موجها او غير موجه ، مجندا او غير مجند، ملتزما او غير ملتزم ، بقوله ، « .. ما احسب كاتبا فنانا في مقدوره ان يغفل الاحداث التي يعج بها زمنه ، فان هذه الاحداث تهز كيانه ، وتتغلغل في صميم بيئته ، وان الكاتب ليستهين بامانة القلم في يده اذا هو لم يستمع لمختلف الهتافات والمناجيات التي تضطرم في مجتمعه ، واذا هو لم يلتقطها ويبث فيها من ذوب نفسه ومن فيض روحه ما يجعلها مددا للفكر الجديد . وكيف يكون الكاتب مخلصا في استيحاء الحياة من حوله ان هو صمت اذنه دون انبعاث قوي في مجتمع يعيش بين ظهرانيه ؟.. ما اهون ان يكون الاديب معدودا من اهل عصره بتاريخ ميلاده ، لا بما يحمل ادبه من معالم تضعه حيث وضعته الايام من احداث وطنه في ذلك التاريخ ... » (١٠)

ثم ينتهي في هذه القضية الى تاكيد الدور الذي لا بد ان يلعبه كل اديب في مجتمعه ، والى اعلاء شأن الرسالة التي يجب عليه ان يؤديها بايمان وثبات ، فقد وكلت اليه مهمة عليه القيام بها .. « فليؤمن الاديب بحيوية مهمته ، وليعتقد وثاقة الصلة بين هذه المهمة وبين المجتمع الذي يحتويه ، وليقتبس من جذوة هذا الايمان نورا يضيء له طريق الاستجابة للروح الاجتماعي في حاضره الجياش ؛ وليضمن بذلك لادبه الاصالة والمثالية والخلود .. » (١١) .

انه لا يرى كغيره من ابناء الطبقة البورجوازية ان الفن نشأ للتسلية ، وقضاء الوقت ، والترويح ، لذا فانا لا نظفر في قصصه بموضوعات الحب الذي لا سبيل الى تصديق ما يحاك حوله . وابطاله ليسوا فنانين والهين متيمين ، وبطلاته لسن فتيات ناعمات بورجوازيات يعشن في اوهام وخيالات تملأ عليهن فراغهن ، واشخاص ليسوا عاشقين يحلمون اثناء النهار احلاما اغنى واروح من تلك التي يحلمها غيرهم اثناء الليل ...

وتيمور يؤمن بالعمل ، ويرى فيه نوعا من العبادة او الصلاة التي عندما يؤديها المرء يحس بانه يؤدي ما كتبه الله عليه ، وكأن يد الاله تدفع به ، وتبارك جهده ، وتحفه بالرعاية والرضوان . ولا اخفي اني

---

٧ ـ « القصة في الادب العربي وبحوث اخرى » محمود تيمور ـ المطبعة النموذجية ١٩٧١ ص ١٠

٨ ـ « ظلال مضيئة » محمود تيمور الطبعة الاولى ١٩٦٣ ص ١٠٩

٩ ـ « دراسات في القصة والمسرح « محمود تيمور ١٩٤٥ ص١٥٧

١٠ ـ « الادب الهادف » محمود تيمور ـ المطبعة النموذجية ١٩٥٩ ص ٦٥

١١ ـ « الادب الهادف » ص ١٨٣

بالعمل وحده ، لا بالثروة ، او النسب ، او الجاه ، وصلت الى ما كنت أتمنى ، وكان بالنسبة لامثالي من الفقراء حلما بعيـد المنال .

وليس غريبا كذلك ان يكون العمل هو مقياس القيمة الاجتماعية عند تيمور الذي آثر العمل المستمر دون اعتبار لثروة والده ، ولم يقعده المرض عن العمل المتصل . وفي اعتقادي ان العمل هو المفتاح الوحيد للتقدم . وانه ليس مجرد مصدر للرزق ، ولكنه رسالة انسانية واجتماعية ، والانسان العامل في ظل هذا المفهوم هو جوهر المجتمع وهدفه . فكل انواع العمل ضرورية واساسية للانتاج القومي . وقد يكون العمل عن طريق التفكير ، او عن طريق المهارة المهنية او القدرة على التنظيم ، كما يمكن ان يكون عملا يدويا . وهي كلها اعمال محترمة لانها تبني حياة المجتمع .

ويتساءل تيمور : « كيف يجبن عن الحياة من يعتقد ان له فيها عملا يضطلع به ، وان له فيها ثمرة يرتقب ان يجني قطافها يوما بعد يوم ؟! لا غرو ان يرفع العمل من معنوية الانسان وان يحبب اليه العيش ، وان يدفعه في سبيله الى المجالدة والصراع ، فتقوى فيه روح المغامرة ، ويمضي به الطماح الى بعيد الآفاق ... لقد غدا العمل عندي لونا من العبادة ، فانا اعتقده واعتده من شعائر الدين .. ما اشبه العمل بالصلاة ، فما الصلاة الا تامل في صميم الوجود ، وترفع عن توافه الدنيا وصغائر النفس . وما العمل الا استغراق في اعماق الحقائق ، وعزوف عن التفاهة والفراغ » (١٢) .

ولا ننسى ان اديبنا يؤمن بما نؤمن به من وحدة الفكر العربي المستندة الى مدد من الراي والفكر ، المستجيبة لهواتف الوجدان ، المستهدفة المثل الاعلى للحياة في تضامن وتعاون وسلام . والذي لا شك فيه ان هذه الوحدة الفكرية كانت سموا بالانسانية الى مستوى العالمية الارفع ، فقد كانت عاملا من عوامل التجمع والتكتل والتقارب، وعنصرا من عناصر التفاهم والتفايد ، وسبيلا الى أخوة في الروح . فاذا كانت هذه الوحدة في الماضي واجبة فهي في الحاضر اوجب واذا كانت ميسورة في عصورها السوالف فهي في عصرنا الراهن ايسر .

ويرتبط ايمانه بوحدة الفكر العربي وعالميته ، بما اصطلحنا على تسميته بالدعوة الى احياء الحضارة العربية المتكاملة احياء منهجيا دراسيا في كل منحى من مناحيها ، وفي كل لون من الوانها ، وفي كل فن من فنونها . فما علينا الا ان نفقه فلسفتها واسرارها احسن الفقه واتمه ، حتى يكون ذلك التكامل الحضاري العربي بالامس زادا للعروبة في اليوم وفي الغد ، منه يتكون جانب كبير من مقوماتها العقلية والروحية معا ..

وفي ذلك يصرح تيمور بدعوته الى احياء الحضارة العربية بأسلوب

نقيس حضارتنا تلك بحياتنا التي كنا نحياها في العهود القريبة ، اذ

١٢ ـ « القصة في الادب العربي ـ وبحوث اخرى » ـ محمود تيمور ـ مكتبة الاداب ١٩٧١ ص ١٠٥ ـ ١٠٧

١٣ ـ « القصة في الادب العربي وبحوث اخرى » محمود تيمور ـ مكتبة الاداب ١٩٧١ ص ٥٢ ـ ٥١

١٤ ـ الرسالة بتاريخ ١١ ـ ٥ ـ ١٩٧١

عصري وعقلية متطورة وطريقة منهجية عميقة : « نحن اذ ندرس اوضاع الحضارة العربية حق الدرس ، واذ نتفهمها حق التفهم ، بعقليتنا العصرية ، وفي ضوء ما جد من اوضاع حضارة اليوم ، فاننا بذلك نستطيع ان ننتزع لحياتنا الراهنة ، وكياننا الجديد ، اوضاعا فيها من خصائصنا العريقة ، وفيها من روحنا الاصيلة ، وفيها ما توارثناه في دمائنا من منازع واستجابات واصول ، ودعوتنا الى احياء الحضارة العربية انما هي دعوة الى تعريب الفكر العصري ، او تمصير الفكر العربي ، فلا نستعير من الحضارة الاجنبية اوضاعها كما هي في بيئتها ، ولا ما يقابلها في حياتنا الخاصة ، وبيئتنا المحلية . وما يجوز لنا ان كانت هذه العهود عهود غفلة وتخلف ... ولكننا نلتمس تلك الحضارة من ينابيعها الصافية في عهودها المزدهرة ، اذ كانت امثلة رفيعة للرقي العلمي والادبي والعقلي ، بها تقدم ركب العمران ، وتألق وجه التاريخ ... » (١٣) هذا هو مفهومه لاحياء حضارتنا !

وبقي اخيرا انها السادة الافاضل ان تعرفوا ان كلا منا يشكو من داء وعلة المت بـه فتمكنت واستحكمت واختارت من الجسم مواضع حساسة . والمرض ـ لعنة الله عليه ـ لا يفرق بين غني وفقير ، بين الذي يملك وسيلة علاجه ، والذي لا يعرف له اسما ولا يملك درهما . انه لا يذيب الفوارق بين الناس ولكنه يحطمها ولا يعترف بها . لا يعرف صبيا او عجوزا او طفلا . لا يفهم في الادب ، ولا تشغله السياسة ، ولا يدين بمذهب اللهم الا الفناء ... اخشاه وارهبه واعجز عن مقاومته . كما يضعه تيمور في مقدمة الامور التي اثرت وما زالت تؤثر في مجرى حياته .

فقد تألبت عليه الامراض منذ الطفولة ، وحالت بينه وبين مواصلة دراسته الجامعية .. وانا لا يبرحني الروماتيزم اللعين ، الذي يستبد بي استبدادا عظيما ، والذي لا اخضع لقوة سواه ، اذ يشل حركتي ، ويفتت اعصابي ان ابقى لي اعصابا ، ويحطم نفسيتي ، ويظلم الدنيا في عيني ، حين يلزمني الفراش شهورا طوال ، اجدني وانا لا املك القدرة على قراءة الصحيفة . فضلا عن عدم الحركة او التلفت او الجلوس او النوم . فالعمود الفقري لا تسرى فيه الحياة الا بالابر التي تخترق غضاريفه ، والساق لا تتحرك الا من عند الله ... واذا ما خفت حدته في الصيف ، يستودعني الى حين كالضيف الثقيل الذي ندعو الله ان يعجل رحيله ، ليأتي ضيف آخر أثقل دما واعبس وجها .. يأتي الصيف ، فاتنفس الصعداء ، لتفد امراض الكلي متتابعة يقود بعضها بعضا ، ويفضي بعضها الى بعض ..

واذكر اني تلقيت وانا بالمستشفى في شتاء العام الماضي رسالة من تيمور يبدؤها بقوله : « ... لا بأس عليك ايها الصديق الحبيب ، دعاء اتوجه به قبل كلمة التحية ، فقد ازعجني ازعاجا شديدا ما الم بك من هذا الروماتيزم الثقيل لفظا ومعنى ، ولعلك قد برئت منه براءة نفسك من كل شائبة . وانت حين تصف اثر المرض في نفسك دائما تصف ذلك لخبير به ، ولا يعرف الشوق . او الشوك ـ الا من يكابده ، سلمت وسلمت وكنت على الدوام سالما ... » (١٤) .

وربما لا يعرف تيمور حتى هذه اللحظة انني لا يحلو لي وانا مريض الا ان اقرا قوله عن المرض : « منذ الصغر والعلل تتردد علي حتى الفتها الان ، واصبحت غير غريبة عني » منذ سنين طويلة وانا في رقابة الطب في ماكلي ومشربي ، وفي نومي ويقظتي . سن لي هذا الجبار قوانين لا استطيع الخروج عليها . فانا اعيش من مرضي في قفص ، انظر الى الاصحاء من الناس يستمتعون بكامل حريتهم ، فاغبطهم وتتالني حسرة اليمة ... ومع ضعف صحتي ، وما نالني من مرض اجد نفسي ما زلت حيا أرزق ، فاعجب لذلك واقول : « لسه لك عمر ! »

نعم يا تيمور ، لسه لنا عمر ، فما زالت فيه بقايا وبقايا !

جامعة وهران ـ الجزائر　　سيد حامد النساج

لا أين أنت

✶

لا أيـن انـت ولا متـى ... تدنـو فيسعدنـا اللقـاء
انـا مـا عشقتـك للتنعـم ... بـل علقتـك للشقـاء
انـي أحبـك للتوجـع ... والتفجـع والبكـاء
للشـوق والسقـم المبـرح ... والتعلـل بـالشفـاء
لـك في خيالـي صـورة ... عصمـاء كاملـة الـرواء
القـرب يمسـخ شكلهـا ... والبعـد يكسبهـا جـلاء
فابخـل ودعنـي للخيـال ... فمنـه لا منـك السخـاء
دعنـي أراك كمـا اشـاء ... فلست أنـت كمـا أشـاء
احببـت حبـي ان يعيـش ... فحطتـه لـك بالجفـاء
افسحـت فيمـا بيننـا ... لتطـول أجنحـة الرجـاء
جـوع القلـوب بـه الحيـاة ... لهـا وفـي الشبـع الفنـاء

يـا بـدر ان تعطـف علـي ... فقـد جنيـت علـى عـلاك
انـا لا أحبـك فـي فنائـي ... بـل أحبـك فـي سمـاك
أهـواك مـن خلـل الغصـون ... تـرود باصرتـي سنـاك
وأسـد نافذتـي بوجهـك ... حيـن يغمرنـي ضيـاك
أخشى علـى قلبـي ، اذا ... أروى صـداه مـن الهـلاك
والعيـن ان تفـرق بسيلـك ... بعـد ذلـك لا تـراك
يـا ورد ان يسهـل جنـاك ... علـى يـدي نبـذت جنـاك
الحـب تحييـه شذاتـك ... بـي ويخنقـه شـذاك

انـي أحبـك في سياجـك ... لا أحبـك فـي الانـاء
شفتي تخط لـك الثنـا ... مـن وخـز شوكك بالدمـاء
والحسـن يقبـح محسنـا ... عنـدي ويحسـن ان أسـاء
أصبـو الـى الفجـر الجميل ... ينـام فـي كهـف المسـاء
ويشوقنـي وجـه الربيـع ... يطـل مـن سجـف الشتـاء
انـي ظفـرت بلذتـي ... فـي ظـل سيدهـا : الابـاء
ولثمـت وجـه سعادتـي ... في حضـن والدهـا : العنـاء
أشقـى الانـام هـو الـذي ... يبغـي الحيـاة بـلا شقـاء

فارس سعد



محمد رجب البيومي

بين الرماني والخولي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

بيني وبين الرماني حب صامت ، فانا اريد ان اذيع بعض ما يترجم عن اعجابي بـه ، ولكن لا استطيع حيث شاء القدر ان يكون كأبي اسحق النظام ، وابي سليمان المنطقي ممن فقدت آثارهم العلمية الجليلة وبقيت نقول منها في اسفار الاشياع تدل على فضلهم الجهير . وتعظم الحسرة اشد الحسرة على ما فقد وضاع ، واصحاب الرسائل الجامعية يحسنون الى انفسهم حيث يخصون امثال هؤلاء بالدراسة والتحليل ، ليضيفوا الجديد حقا بما يكتبون !

فرجل كالرماني كان علما في النحو يضارع زميله المعاصر ابا علي الفارسي ، ويشاركه مواهبه وانتاجه ويترك في مجال التأليف النحوي نظير ما يترك ، وكان رأسا من رؤوس الاعتزال يقف مع زميله المعاصر القاضي عبد الجبار في مستوى واحد ويخوض كما يخوض مسائل الكلام ودقائق التفسير ، ويترك في مضمار التأليف مثل ما يترك ، وكان فارسا من فرسان البلاغة الذين اصلوا كثيرا من قواعدها فيما تحدثوا به عن اوجه الاعجاز !

هذا الرجل المتشعب المعارف المتنوع الثقافة يحتاج في كل فرع من فروع تأليفه المثمر الى دارس يكشف عن آرائه متتبعا ما ينقل عنه فيما وليه من الاسفار كأن ينهض دارس نحوي الى تتبع افكاره النحوية منذ نشأت المدرسة النحوية في بغداد حاملة تراث مدرستي البصرة والكوفة لتبني على ضوئه مذهبا جديدا يأخذ ويمنع ويبني ويهدم ، وقد كان ابن السراج زعيم هذه المدرسة وكان ابرز تلاميذه ابو علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني ! فان رأيت للفارسي في النحو ذكرا ضخما دون صاحبه ، فاعلم ان صلات ابي علي الاجتماعية بحكام العصر من امثال عضد الدولة في بغداد وسيف الدولة في حلب قد لفتت الانظار اليه فكتبت اسفاره على مدى متسع لتحتل خزائن الكتب في دور اهل الفضل ، وبقيت اسفار الرماني محصورة في ايد قليلة تحول دون سيرورة الدوي وازدهار الصيت !

ومن حسن حظ الفارسي ان رزق تلميذا ممتازا كابن جني يذيع علمه في كل مجلس ويدون آراءه في كل مؤلف ، فكان منه مكان رشيد رضا من محمد عبده في عصرنا الحديث ، ولقد كان للرماني تلاميذه الفضلاء ولكنهم قلدوه في الانزواء والتحفظ فلم يبلغوا بآرائه وكتبه بعض ما بلغ تلاميذ ابي علي وليت شعري اين ابو الحسن الدقاق تلميذ الرماني على كبير فضله من ابن جنى تلميذ ابي علي ؟

وقد يظن ظان ان صعوبة المنحى في التاليف لدى الرماني قد باعد بينه وبين جمهرة الدارسين فقد نقل ياقوت ان ابا علي الفارسي كان يقول ان كان النحو ما يقول الرماني فليس معنا منه شيء وان كان ما نقوله فليس معه منه شيء ! وهو قول يدل على تنافس المعاصرة اكثر مما يدل على الواقع ، لان كتاب الايضاح لابي علي يدل على انه كان ينحو المنحى المنطقي في دقة تاليفه كما كان ينحو الرماني سواء بسواء !

وقد احسن الزمن خين أبقى رسالة الرماني في اعجاز القرآن لتدل على منحاه التأليفي ، وهي رسالة واضحة لا تحوج الى فك رموز او تحطيم اغلال ، واذا كان هذا نمط الرماني في البلاغة فلا بد ان يكون مماثلا لنمطه في النحو ، فالرجل هنا هو الرجل هناك ! لقد كان من المعقول ان ينقل عن صاحب الايضاح فهو ما نحار في تعليله ! ونتلمس له الاسباب في قلق مريب !

هذا عن الرجل في مجال النحو ! اما عن الحقل البلاغي ، فقد كنت اجد آراءه تنتقل في اسفار تابعيه من المؤلفين لتترجم عن فضله ، وفي هؤلاء من يخصه بالذكر ومن يغمض عن اسمه منتحلا اكثر ما قال ! وكان عجبا من العجب ان يكون الرماني قليل الشهرة في عالم البلاغة بالنسبة لشهرته في عالم النحو والاعتزال ثم يكون له هذا الصدى المجلجل في كتب الشريف الرضي وابي هلال والقاضي الجرجاني وعبد القاهر وابن سنان وابن رشيق وابن الاثير ، وغيرهم ممن لا اعلم ، وكم تطلعت مشوقا الى ان ينهض عالم بلاغي فيتتبع آراء الرماني فيما ولي زمانه من التأليف ، ليقيم من هذه السطور المبعثرة في

مئات الصفحات هيكلا يحدد مكان الرجل في ميدان البلاغة على وجه التقريب ! وهو مأرب طمحت الى تحقيقه ذات يوم فأحضرت امثال الوساطة والموازنة واسرار البلاغة والصناعتين واسرار الفصاحة والعمدة والمثل السائر وغيرها لابدأ التنقيب ثم تعاظمني الامر اذ كانت هذه الكتب في متناول اليد منا ولكن ما انشده فوق الطوق فمزارها قريب بالخيف ، ولكن دون ذلك اهوال كما قال أبو العلاء .

ثم وقع في يدي كتاب « صور من تطور البيان العربي » لاستاذي الكبير كامل الخولي رئيس قسم البلاغة والنقد بكلية اللغه العربية ، فوقفت بازائه على مجهود علمي بعيد الاثر في تاريخ التطور البلاغي اذ تتبع القواعد البلاغية منذ نشاتها الى اوائل القرن الثامن الهجري ليرصد بأمانة دقيقة جهود الباحثين على توالي العصور فيرسم مناحي التأثر والتأثير رسما صادقا يؤيده النص الصريح والشاهد المطابق ، وهو جهد فذ لا يتسنى لغير دراكه بحاثة صبور قرأ وتأمل واستبطن ثم قارن وناقش واستنتج ، وكان ما تحدث به عن الرماني شافيا لحاجة نفسي منه فقد حقق في سهولة ويسر ما صعب على كاهلي الهش ان ينهض به ، ولم يكن الرماني لدى الاستاذ غير واحد من عشرات البلاغيين الذين خصهم بالحديث ، ولكن صداه قد جلجل في سمعي رنان الدوي اذ كان جبل التوباد الذي بدا لعيني بعد طول انتظار فهششت له وهش الي على نحو ما قال القائل :

واجهشت للتوباد حين رأيته وكبر للرحمن حين رآني

والحق ان الاستاذ الخولي قد حقق الحلقة المفقودة في المضمار البلاغي اذ درس كتب المتأخرين والمتقدمين معا دراسة مستوعبة نافذة فهو يدرك اغوار الجاحظ وابن قتيبة وثعلب والمبرد وابن المعتز وقدامة وابي هلال والرماني والجرجاني والآمدي وعبد القاهر وابن سنان وابن الاثير كما يسبر اغوار الرازي والسكاكي والقزويني وعضد الدين والسيد الجرجاني والسعد التفتازاني والقوني والعصام والسبكي والمغربي ، فيقف عند مواضع القوة لدى اولئك ومواطن الضعف لدى هؤلاء وقوف المتمرس المحلل البصير ، وقد عهدنا في الدارسين من يعكف على كتب فريق دون فريق ، فهو اما مع فريق الجاحظ او مع فريق السكاكي ، واذا انحى باللائمة على الفريق المتأخر فعن جهل بما قال ! ولكن الدكتور الخولي يكاد يكون وحده الممثل للحلقة المفقودة في المضمار البلاغي ، واذا انتهى فيما انتهى اليه الى نقد طريقة الاعاجم في المتون البلاغية وما يتبعها من الشروح والحواشي والتقديرات فهو نقد الخبير بالسقطات ، الممارس للمماحكات والمغالطات ، ولن يكشف الدواء غير من يعلم تباريح الداء ، وقد افصح عن مرماه حين قال في خاتمة المطاف ص ٢٦٠ :

« وقد حرصت على ان يكون القارىء على بينة من نهج من تعرضت لهم ممن اسهموا في حياة البيان العربي وخصائص كل منهم فلم اعرض الفكرة بعيدة عن مأخذها من اسلوبه ومثله وشواهده وطريقة عرضه لفكرته . بل قدمت بين يدي كل فكرة لكل امام مأخذها من عرضه ومنهجه ومثله حتى تتميز خصائص كل من تعرضت لابراز فكرتهم البيانية وائرها المحسن او المسيء في حياة هذا الفن ، ولهذه الدراسة غاية تهدف اليها وهي عرض مناهج الدارسين لهذا الفن في الحقبة ما بين القرن الثاني والثامن ، ولا يعدم منهج منها نوع حسن ، فقد رأينا عناية ابي الحسن الرماني بالاثر النفسي للصورة البيانية والموازنة بينها وبين الصورة الحقيقية للاسلوب حتى جعل القارىء يدرك ما لهذه الصورة من مزية وفضل .

كما رأينا تحليلا ادبيا للاسلوب يكشف عن مواطن الجمال فيه عند الامام عبد القاهر ، يجعل القارىء يدرك ما بين مباحث البلاغة والجمال من وشائج وصلات، ورأينا ضبطا وتحديدا لمفاهيم الاساليب المختلفة عند السكاكي والخطيب والقزويني تعين القارىء على الضبط والتحديد والتمييز بين الصور المختلفة » .

وقد خرجت من دراسة هذا الكتاب الجيد بأمر ذي بال ، هو ارتفاع الحواجز المصطنعة الآن بين البلاغة والنقد اذ دل الكتاب في تتبعه الاستقرائي على ان البلاغة لا تكاد تتعدى النقد في شيء ، فكتب القاضي الجرجاني والآمدي وابن رشيق وابن الاثير تحفل بالقواعد البلاغية وقد ساعدت على تطورها وتحديدها بحيث لا تفرق بينها في ذلك وبين كتب عبد القاهر وابن سنان والعلوي ، فدعوى الفصل بين النقد والبلاغة الآن دعوى لا تنهض على دليل ، وقد ذكر الاستاذ كامل الخولي ص ١٤ فروقا هينة بين البلاغة والنقد خلص منها الى ان النقد والبلاغة عاشا مختلطين اختلاطا تقتضيه وحدة الموضوع ، تلك التي جعلت الحاجز بين البلاغة والنقد سترا دقيقا . وقد يعجب الاستاذ الكبير حين أقول انه لا حاجز بالمرة ولا ستر ايضا !

فالنقد يقوم على الاسس البلاغية ، وهو منها مكان الثمرة من الشجرة ! ومن الذي لا ينسب التفاح مثلا الى شجرته المسماة باسمه ! ويبحث له عن اسم آخر ! ان مصدر ما يظن به من يفصلون البلاغة عن النقد هو عجزهم عن الحاق البحوث الوافدة من الغرب حول المقالة والقصة والمسرحية والقصيدة ذات الوحدة والتجربة بأخواتها من البحوث البلاغية الدائرة حول الفصاحة والتشبيه والمجاز ؟ وذلك يمكن بايجاد ابواب جديدة تلحق بالفصول القديمة حين تنقى وتجرد مما لا حاجة اليه الآن على ان يندرج الجميع في علم البلاغة كما تندرج أبحاث الذرة والفضاء وغيرهما من البحوث المستحدثة في سلسلة مباحث الطبيعة فتكون حلقات جديدة مضافة الى

نظائرها القديمات ! وفيم الخلاف وكلها تدور حول الاسلوب !

لقد بعدنا عن الرماني بعض الشيء ولكننا نبادر بالعودة اليه ، لنرى المؤلف الفاضل قد رزق التوفيق كل التوفيق في توضيح جهده البلاغي الكبير حين تحدث عنه في ثلاثة فصول من كتابه ، تبدأ بفصل التشبيه ، ومع ان كتاب الرماني يدور حول الاعجاز القرآني فان الدكتور الخولي يذكر ان قارئه يحسب انه بصدد كتاب في البلاغة لا في قضية الاعجاز لانه يعرف التشبيه ويقسمه ويتحدث عن اثر الاداة في التشبيه جاعلا المدار عليها في الفرق بين التشبيه والاستعارة ، وهو اول من قرر ذلك ، حتى تصدى القاضي الجرجاني لمناقشته مقررا ان الاستعارة لا توجد عند فقد اداة فقط بل فيما اكتفى فيه بالاسم المستعار عن الاصل ! وهو تحديد دقيق قد التزم به جمهرة البلاغيين ، ولا يمكن في رأيي ان يعترض به على الرماني ، لان السالف لا يخضع لاصطلاح الخالف وحسبه ان بدأ بخط الطريق لتاليه فاذا رأى تابعه بعض ما يتجه اليه التصويب ، فتلك سنة البحث المتناسل عبر الاحقاب !

على ان الاستعارة قد ظلت مختلطة بالتشبيه لدى بعض الكاتبين الى ما بعد الرماني بقرون عدة فالعسكري يجعل من باب الاستعارة قول الله تعالى « هن لباس لكم وانتم لباس لهن » وقوله « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » مع اجتماع الطرفين فيهما ، وابن رشيق يجعل من الاستعارة قول ابي تمام « والله مفتاح باب المعقل الاشب » وينص ابن الاثير على ان ابن سنان الخفاجي قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضمرة اداته حين جعل قول امرىء القيس « فقلت له لما تمطى بصلبه» من التشبيه ، والشهاب الخفاجي يخلط بين امثلة التشبيه المؤكد والاستعارة حين جعل البيت المشهور « فأمطرت لؤلؤا » من قبيل التشبيه ! أفلا يسع الرماني في زمنه المتقدم ما وسع هؤلاء !

اما الاغراض التي يساق لها التشبيه فقد وضح الدكتور الخولي ان أبا هلال قد غصب كل ما قاله الرماني تعريفا وتفريعا وتمثيلا دون ان يشير اليه ، كما جاء ابن ابي الاصبع العدواني فصنع صنيع ابي هلال اذ سطا على جميع اقوال الرماني سطوا لا يخلو من اجتراء وقد قال الدكتور الخولي بصدد ذلك متعجبا « وهي بعينها اقسام الرماني ومثله ، ولم يشر ابن ابي الاصبع الى الرماني قائلها ، وكثير غير ابي هلال وابن ابي الاصبع ينقلون عنه باطالة او اختصار مع اغفال اسمه احيانا وذكره في القليل » . فاذا تركنا التشبيه الى الاستعارة فاننا نجد الدكتور الخولي يخص الرماني بباب جيد يوضح سموقه الفكري ثم يضعه في ميزانه الراجح حين يقول عنه ص ١٥٥ :

« فالرماني يضع يدك على ما في الصورة البيانية من فضل وقوة وتأثير بالموازنة بينها وبين الصورة الحقيقية ، ويستطيع الدارس لاثر الرماني ان يقرر انه في دراسته القرآنية جاوز بالصورة البيانية مرحلة صباها ، ولم يقف عند بيان المعنى الحقيقي والمجازي والعلاقة بينهما بل يعرض الحقيقة بجنب الاستعارة ليبين مدى اثر الاستعارة في النفس ومبلغ اثارتها للحس فتجعل الوجدان ينتقل بالصورة البيانية بعد ان ابدى جمالها المكنون » .

ثم يستعرض جميع من تأثروا به في مجال الاستعارة فيما وليه من العصور ، فيضع يده على اقتباسات امثال ابي هلال وابن رشيق وابن سنان ويحيى بن حمزة صاحب الطراز ! فاذا جاء الحديث عن الشريف الرضي صاحب مجاز القرآن والمجازات النبوية تعرض المؤلف لموازنة سريعة بين الرماني والشريف فذكر ان سليل البيت النبوي اغزر بيانا وافصح لسانا وابلغ في التعبير عن معاني القرآن بعبارة ادبية يبدو فيها ذوق الاديب وحس البليغ ودقة الشاعر ، كما ينص على ان التشبيه عند الشريف هو بعينه التشبيه عند الرماني ، وينقل آيات بيانية من كتاب الله مثل «سنفرغ لكم ايها الثقلان» مما تعرض له الرجلان ، ليقول ان الشريف يزيد في عرض الاحتمالات المختلفة ويوضح الاستعارة على كل احتمال ، وذلك حق ، ولكن استاذنا الكبير يترك شيئا هاما لا ينص عليه ، وهو تأثر الشريف بالرماني ، واخاله حين ذكر ص (١٧٨) ان الرجلين متعاصران قد جوز احتمال عدم التأثر ، ولكني ارجح هذا التأثر ترجيحا يقوى بالدليل لان الشريف كان في العاشرة من عمره عام ٣٦٩هـ والرماني وقتئذ شيخ جهير المكانة فوق السبعين ! وهو قرين استاذ استاذه ابي علي الفارسي شيخ ابن جنى استاذ الشريف! فاذا اتفقت الخلاصة البيانية للشرحين فقد احتذى الشريف شيخنا الكبير .

وفي باب البديع تحدث الدكتور الخولي عن الجناس ليعرض اسماء من تأثروا به من الكاتبين وهم هم تلاميذه المتأثرون به في مجال الاستعارة والتشبيه مع قوة بسط ودقة تمثيل ! وكأني بالرماني بعد ان تتبع الدكتور جهده البلاغي قد بعث علما جهيرا في ميدان لم يشتهر به ! اذ انه عند اصحاب الطبقات نحوي معتزلي مفسر ! وقد سكتوا عن انتمائه لمباحث البيان كما سكتوا من بعده عن عبد القاهر حين اخذوا يصفونه بالنحوي ! مع ان البيان مجال سبقه الآن لدى الباحثين! واذا كان عبد القاهر الجرجاني قد اخذ حظه الفسيح من بحث الدارسين افينهض من خلف هؤلاء من يخلد الرماني برسالة علمية جامعية . وقد فتح له استاذنا الدكتور الخولي نوافذ واسعة تشرق بالضوء فأقال من عثرات وأمن من اعتساف !

لقد تحدثت عن الرماني في مرآة استاذنا الخولي ،

ذكرى صديق شبوب

●

لا تسالوني عن هموم الطريق — يكفي اذا احصيت فقد الصديق
أكاد لولا ثرثرات المدى — يغتالني الوهم فلا استفيق
أكل ما حولي رؤى تمحي — تنهار ، تذري ، في مدار سحيق
أواه من هذا السراب الذي — يلفني ، من زيف هذا البريق

أواه من ليل ، على فجره — القت جبال الصمت أثقالها
قد أخرست صوتي به ، فجوة — تستوعب الدنيا وآمالها
تجمد الظل علم أصله — ببابها ، واغتال من غالها
يا ضيعة الانسان في حفرة — تمحو عن الاسماء أفعالها

« صديق » ما الانسان ؟ ما سره — ما حكمة الشيخ ، وجهل الغرير
هل عند هذا الليل ، ما عندنا — من لهفة نحو اجتلاء المصير
أبعد أن ألقاك حلو السنا — سمح البيان العذب، عف الضمير
ألقاك ذكرى ، في عباب الاسى — تنساب ، تمضي، في سؤال مرير

« شبوب » لا لقيا ولا موعد — الامس قد ولى وجف الغد
وانفض سوق ، كان في دربنا — مظلة يأوي لها المجهد
قد أكمل الموت أحاديثنا — بقصة ، كل لها يولد
سر اراد الله ، لولا الردى — ما كان من يخشى ، ومن يعبد

الاسكندرية — عبد العليم القباني

وهو عالم واحد بين اعلام البلاغيين الذين تابعهم المؤلف متابعة واعية في كتابه الرائع « صور من تطور البيان العربي » فسد فراغا كبيرا نشط الناشطون لملئه فتوقفت بهم الركائب العليلة ، حتى نهض السباق فاحرز الرهان .

لقد كان ابو حيان التوحيدي في كتاب « المقابسات» لا يصف الرماني الا بالشيخ الصالح ! وهو شيخ صالح حقا يدل ما نقله ياقوت في ترجمته بالجزء الرابع عشر من معجمه على تواضع نفسه ، وصفاء خلقه ، وطول تحمله، وبعد اناته ، وقد مضت عشرة قرون حتى نهض شيخ صالح في القرن الرابع عشر من الهجرة ليسلط الاضواء عليه في محبة وانصاف ! فكان من توفيق القدر ان يرعى المثيل حق المثيل ، وشبيه الشيء منجذب اليه كما قال شاعر العربية الكبير .

الفيوم — دار المعلمات — محمد رجب البيومي

رحلت وحدها بلا اضواء
كبرياء يقتات من كبرياء
فقدت حبها ولكن أرادت
ان يظل الصفاء للاوفياء

قاسم مظهر

ما ذهبت في اي وقت ما الا ورأيتها جالسة دائما في هذا المكان الذي يطل على تلك البحيرة ، التي يسبح فيها البط والبجع المختلف الالوان والاحجام في كل جانب ، وتحيطها الاشجار العالية المورقة الغناء كالام تحتضن طفلها في رقة وحنان ، والصخور الاصطناعية التي تتساقط على جدرها المياه في انسياب كخيوط من فضة لتتجمع في مياهها كالشرايين داخل جسم الانسان ، كانت تجلس وحيدة على المنضدة الاولى بجانب المدخل الرئيسي لمشرب « جزيرة الشاي » ، تحتسي الشاي من الفنجان في تؤدة وهوادة ، وتمتد اناملها فتأخذ قطعة من الخبز الموضوع في الاناء الواسع وتلقى بها تجاه البط العائم ، فيجري نحوها مبتهجا صائحا صيحات عالية يسابق كل منها الآخر ليحظى بنصيبه ..

وتعود ثانيا الى احتساء الشاي ، ثم تعاود القاء الخبز الى البط قطعة تلو القطعة ..

وكأن هذا المكان قد اعد لتلك الانسانة خصيصا ، ومما اكد لي هذا بالفعل انه في يوم ما .. ذهبت الى هناك مبكرا فلم اجدها كالعادة ، ووجدت مكانها خاليا .. وعندما هممت بالجلوس لاحقني (الجرسون) مناديا :

ـ آسف يا سيدي هذه المنضدة (محجوزة) ..

والقيت بنظرة على المنضدة فوجدت لافتة مكتوب عليها ما يثبت صدق قول (الجرسون) فالتفت اليه معتذرا ..

وعندما هممت بالجلوس على المنضدة المجاورة ، جاءني (الجرسون) متسائلا :

ـ ماذا تحب ان احضره لك ؟

وقبل ان انطق ، دخلت صاحبة المنضدة من المدخل بخطوات ثابتة قصيرة ، فاستأذن (الجرسون) وجرى نحوها ، وسار خلفها حتى جلست على الكرسي وحمل بيده اللافتة ..

واستطعت عن قرب ان اتبين انها جميلة ، بل كانت اليوم اكثر جمالا ..

وعاد (الجرسون) يسألني عما اريد .. فطلبت فنجانا من القهوة.

وعندما عاد (الجرسون) ووضع كل من الطلبين على منضدتها ومنضدتي .. سمعت صياح البط، فنظرت الى البحيرة فوجدت ذلك



رحلت بكبريائها..

بقلم رستم كيلاني

الطير الرقيق يجري سابحا نحوها ، وكأنه على موعد معها ، يصيح وكأنه يناديها طالبا منها طعامه اليومي ..

وجلست افكر في امر هذه الحسناء ..

كانت اكثر المناضد مشغولة بالرواد ، وتناهت الى سمعي صوت موسيقى هادئة جعلتني أسرح مع الطير واحوم بخيالي حول هذه البحيرة ، وتمنيت ان يكون فيها قارب يحملني واياها ، ويطوف بنا حولها ، اداعب باناملي خصلات شعرها الاسود الفاحم ، وبيدي



الاخرى تداعب هذا البط ..

حلم جميل ، فلقد كنت اليوم أكثر خيالا ..

وعدت الى واقعي اتأمل هذه الحسناء كعادتي ، اراقبها وهي لا تشعر ، واستبدت بي فكرة التعرف عليها ، ولكن السبيل للتعرف عليها بدا لي شاقا وغير ميسور ..

دخل من المدخل رجل ، انيق الهندام ، طويل القامة ، عريض الكتفين ، وشمل بنظراته المتقطعة كلها كأنه يبحث عن مكان خال ..

والتفتت اليه تلك الانسانة الرقيقة وهي ممسكة بيدها فنجانها وحملقت فيه ثم ادارت رأسها بسرعة ناحية البحيرة ، فاهتزت يدها وسقط منها الفنجان المملوء بالشاي على فستانها، وعلى حقيبتها الموضوعة امامها على المنضدة ، وقامت فزعة ..

في تلك اللحظة كان هذا الشخص قد غادر المكان ، ويبدو انه لم يلاحظ ما حدث ..

وانتفضت من جلستي بسرعة ، واقتربت منها ابغي مساعدتها ، فأخرجت منديلي واعطيته لها ، فبللته بالماء ، واخذت تمسح به آثار الشاي العالقة بالفستان ، حتى جاء (الجرسون) وحمل الاشياء الموضوعة على المنضدة ، والمفرش المبلل ..

ودعوتها للجلوس معي على منضدتي فلم تمانع .. وجلسنا وجها لوجه ولم اكن اتصور انني سأحظى بالجلوس معها بهذه السرعة ..

وظلت مقطبة الجبين ، وشعرت بأنها تحمل في صدرها هما ، ووددت ان اعرف سرها ، وسر انزعاجها عندما لمحت ذلك الانسان ، وسرعان ما هممت أقول وعيناي شاخصتان الى وجهها الشاحب :

ـ هل من الممكن ان تشربي معي كوبا من عصير الليمون ..

فتطلقت أساريرها ولاحت على ثغرها بسمة ، واومأت بالايجاب ، فطلبت من (الجرسون) كوبين من عصير الليمون ..

وعادت تحول وجهها ناحية البحيرة في شرود ، كنت اتابعها بنظراتي حتى امتعت عيني بمرآها دون ان تحس ، وقد استولى علينا صمت ثقيل وجمود حتى جاء (الجرسون) حاملا ما طلبناه ، وبدأنا نحتسي من الكوبين على مهل ، وفي خجل محبب قالت بصوت هادىء النبرات :

ــ آسفة لما حدث .. كما اني اشكر لك هذا الصنيع ..

فقاطعتها قائلا :

ــ ابدا هذا واجب علي اديته ..

ــ ولكن منديلك تعلق بـه الكثير من بقع الشاي ..

فقلت متلطفا ووجهي عالـق بوجهها :

ــ لا تفكري في هذا ، امر المنديل سهل ، ولكن كيف حالك الآن ..

وزمت شفتيها ولم تنبس بقول ، واخفت وجهها في كفيها ، واحتوانا الصمت من جديد ..

وعلى حين بغتة قامت من جلستها حاملة حقيبتها ، واستأذنت ، فقمت ، ومددت لها يدي فتصافحنا ، وانصرفت دون ان اعرف عنها اي شيء .. وتابعتها وهي تسير بخطوات وئيدة هينة ، وظللت في مكاني مشدودها ..

وفي صباح اليوم التالي هرعت الى « جزيرة الشاي » ، وانتظرتها طويلا ، ولكنها لم تحضر ، وظللت على هذه الحال اسبوعين اتردد يوميا آملا لقاءها ، ثم شغلتني الحياة بمشاكلها فلم اعد اذهب الى هناك ..

وبعد فترة انقطاع ذهبت الى « جزيرة الشاي » لاحتساء فنجان من القهوة ، وعندما دخلت المشرب ، اتجهت ناحية المنضدة الاولى ، وبعد ان جلست تذكرت ان هذه المنضدة كانت محجوزة دائما ، ودهشت اذ لم أجد عليها تلك اللافتة المعهودة ..

وسنح لخاطري على الفور طيف تلك الحسناء التي قضيت معها لحظات قصيرة امتعت عيني بمحياها ..

وجاءني (الجرسون) متسائلا :

ــ ماذا تريد ان احضر لك ..

ــ فنجان من القهوة ..

وانصرف .. وجلست دقائق ابحث عنها بين الجالسين فلم اجدها ، حتى جاء (الجرسون) ، وبينما هو يصب القهوة سألته :

ــ الا تذكر عندما اردت مرة الجلوس على تلك المنضدة لاحقتني انت ونبهتني بانها محجوزة ..

فلاذ بالصمت يفكر ، ثم قال :

ــ آسف يا سيدي انا لا اذكر هذه الحادثة بالذات مع سيادتك ، ولكنني اعرف ان هذه المنضدة كانت دائما محجوزة ..

ــ ما علينا .. اذن لماذا لم تحجز هذه المنضدة كالعادة اليوم ..

ــ لان السيدة التي كانت تجلس عليها دائما سافرت ..

وصمت ، فقلت مدهوشا :

ــ سافرت .. الى اين ؟

فأجابني على الفور :

ــ لا اعلم يا سيدي .. آخر مرة عندما كانت هناك منذ اسبوع احضرت معها مظروفا مغلقا تركته معي ، وقالت اعط هذا لمن يسأل عني ..

وصمت ، واخرج من جيبه مظروفا اعطاه لي قائلا :

ــ لم يسألني عنها احد حتى الآن الا انت ، وعلى ذلك فانت الشخص الوحيد الذي سأل عنها فتفضل ..

وحملت في يدي المظروف ، وقلت له :

ــ الا تعرف سبب سر وحدتها وجلوسها هنا في هذا المكان بالذات دائما ..

ــ كانت دائما تجلس مع انسان ، يتجاذبان الحديث كل يوم في هذا المكان ، يحتسيان الشاي ويرميان للبط الخبز ، ولقد عاصرت اجمل قصة حب لهما ، ثم لاحظت منذ الشهور الاخيرة انها اصبحت وحيدة في جلستها لا أنيس لها سوى رمي الخبز للبط والنظر الى البحيرة ، ولم يحضر ذلك الانسان ..

وفي يوم سألتها عنه ، فعلمت منها انه تزوج من صديقة حميمة لها ، ويعيشان الآن في الاسكندرية ، وظلت هي تحمل له الحب الذي يفوق الوصف في قلبها ، وداومت الحضور حنينا لهذا المكان ، فقد كانت تتلمس من جلستها هذه النبضات من هذه الطبيعة التي تركت في نفسها ذكريات جميلة ..

وامسك عن الكلام لحظة ، ثم تابع قوله :

ــ كما لا انسى ان اقول بأنني سألتها يوم جاءت واعطتني المظروف المغلق قبل سفرها عن موعد حضورها ، فكان جوابها انها لن تعود الى هنا مرة ثانية ، فسألتها عن السبب ، فعلمت منها انها لمحت حبيبها ذات يوم هنا ، ولم يرها ، فخشيت أن يتردد على المكان فيلتقي بها فتعود علاقتهما من جديد ، وبذلك تكون قد حطمت اسرة ، ستحطم بذلك حياته ، وحياة صديقتها ، لذا فهي ارادت ذلك رغما عنها وسافرت ، وابتعدت مضحية براحتها ..

وصمت ، فهممت :

ــ ما أنبل مشاعرها ، اذن أفهم من حديثك انها سوف لا تعود الى هنا مرة ثانية ..

فأجابني مبتسما وهو يهز رأسه :

ــ اظن ذلك ..

وشكرته ، فانصرف الى عمله ..

وخلوت الى نفسي ، وعدت الى المظروف أفتحه في تشوق ، واذ افاجأ بمنديلي الابيض الذي اعطيته اياها ، ونسيته معها عندما وقع من يدها فنجان الشاي ، فقد كان نظيفا .. مكويا .. تفوح منه رائحة طيبة زكية ..

القاهرة **رستم كيلاني**

سيزيف والصخرة الجديدة

شراعك ابحر في اللانهاية .. ولى وراح ..
وأطفأ نور شموعك ضوء الصباح ..
واطبقت جفني ..
تحمل اهدابها ذكريات شحوبه ..
وحفنة وهم ..
وقبض ريــاح ..
ووليت يرزح بالعبء كاهلك الموهن ..
وفوق جبينك خيبه ..
وشعرك اشعل شيبه ..
ولوحت لي بالوداع وكفك ترتجف ..
ومــت ..
ثلاثون اسلمتها للتراب ..
واطفات شمعاتها .. شمعة .. شمعة
دون ايــة رهبه ..
ودون التياع ..
واقبل من خلف آفاق هذي الدنى
فارس كالشراع ..
على مفرقيه غبار السفر ..
وانفاسه لهب من سعر ..
ويومض فوق الجبين شهاب ..
وتحمل عيناه ألف شعاع ..
ويحمل لي ألف صخره ..
لاحملها من جديد ..
كسيزيف يصعد جلجلة المقبره ..
وتقصم ظهره ..
وتسقط اوراقنا .. كالخريف ..
على كفة الازمن المشمخره ..
وساعاتنا تافهات
وكل الحياة فراغ وحسره ..
ويغرز اظفاره في العيون ..
فيطفىء فيها ضياء الحياه ..
ونحمل آلامنا كالخطاه ..
وتصفعنا لعنة العهر فوق الجبين ..
ونحمل صخرة عار جديد ..
ونحمل آلام عمر بديد ..
ونمضي بهــا تائهين !! ..

محمود محمد كلزي

دمشـــق



عامر محمد بحيري

حصـــاد السنـين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

الخيـال الرمـزي

كان ديوان « اليخت الذهبي » يشتمل على أبواب ستة هي : الجامعيات ، والخيـال الرمزي ، والطبيعـة ، والحب ، والموت ، والاجتماعيات .. على هذا الترتيب.. وقد سبق ان ذكرت ان باب « الخيال الرمزي » كـان اولى بالتقديم عليها جميعا ، لانـه يمثل في الواقع روح التجديد التي شاعت في الديوان بصفة عامة ، ولان اولى قصائده كانت تحمل عنوان « اليخت الذهبي » .. الذي سمي به الديوان .. وعندما لقيت الاستاذ الكبير العقاد، لاول مرة بمنزله عام ١٩٣٦ ، لاهدائه اياه ، كان مما حدثني فيه السبب في اختيار اسم الديوان ، واقـر ان يكون باسم احدى قصائده ، وان تكون هـذه القصيدة تمثل بموضوعها ، تلك الروح العامة ، التي كانت الدافع الى نظمه اولا ، ثم الـى نشره اخيرا .. وهـي روح التجديد !

وحدثني العقاد ايضا عن قصيدة اخـرى ، وقف عندها وقفة ظاهرة ، تدل على اهتمامه بها .. وقد عدها من الشعر الجديد ، الاصيل ، الخالص .. فهي قصيدة مصرية في موضوعها ، متصلة بالادب الشعبي المصري .. ولما سألني عن المصدر الذي استقيتها منه ، قلت انني لا اعرف لها مصدرا غير ما سمعته في الطفولة ، وتعلـق بذاكرتي لا يبرحها ، من احاديث جدتي .. فلما كنت في العشرين ، ادرس في الجامعة ، واقـرا الشعر الاجنبـي بلغات مختلفة ، الى جانب العربية ، ورأيت كم كان ذلك الشعر خصبا بالموضوعات ، المتصلة بالخيال ، والفكر ، واساطير الشعوب .. رحت ابحث في ادبنا الشعبي ، عن الاساطير المشابهة ، فوجدت القصة التي ضمنتها يومئذ هذه القصيدة ..

والقصيدة تروي قصة الجنية ، التي انطلقت مـن الفرن ، في الصباح الباكر ، ونساء القرية امـام نـاره ينضجن الخبز .. ويتبين لي الآن ان ذاكرتي لم تستحضر القصة كاملة ، او صحيحة ، كما سمعتها مـن جدتي رحمها الله .. ولكن هذا لم يضر بشيء فنية القصيدة ، ولم يقصر في عرض موضوعها في اسلوب شائق ، جذاب ، جديد ..

هي قصيدة « الريفية والجن الابيض » ... وهذه هي كما وردت في الديوان :

في ليلة من ليالي الصيف مقمرة   تكسو الحقول بثوب النور في السحر
تنبهت غـادة ريفيـة فمضـت   تظنه الفجر .. لا نورا من القمر

مضت بجلبابها القاني ، وجرتها   تريـد تملؤها من ترعـة مـاء
فلم تزل بين خضر النبت سائرة   ترنو الى كتلة في الافـق بيضاء

وحينمـا سلكت منهـا بمقربـة   مرت على سامر للجن مجتمـع
من كل صافية ، ببيضاء ضافية   مشنوقة تلطم الخدين في جـزع

فاقبلت نحوها جنيـة ، فدنت   منها تقول : ايا محمرة الثـوب
قولي لجارتك النمراء ، صاحبها   بعيدر مات.. يا روحي ويا قلبى

فاجفلت غـادة الاكواخ جازعـة   وقد رأت ان ذاك الليل ما ذهبا
واسرعت بين ضاحي الزرع راجعة   تقول مما دهاها الليل : واعجبـا

وعندما غاب قرص البدر منحدرا   وقهقه الفجر.. اذ يغشى البساتينا
قامت الى الفرن تذكيـه وجارتها   لتنضجا فيه خبـزا بات معجونا

وبينما هي صوب الفرن جالسة   تحكي لجارتها ما شاهدت سحرا
اذا بهـا تبصر الجنيـة انطلقت   من داخل الفرن لطما تلبس الشررا

فما رأتها فتـاة الريف طائـرة   الا وماتت ممات الخوف والفزع
ولم تطـل بعدها ايام جارتهـا   وتلك عاقبـة الاوهام والجـزع

والنمراء ، وبعيدر.. من اسماء الجن ..

وقد ألمت الآن ان ذاكرتي في العشرين، لم تستوعب القصة صحيحة كما سمعتها من جدتي ، في السادسة او السابعة على اكثر تقدير .. وان كان هذا لـم يؤثر في القصيدة ، الا انني قرأت الرواية الصحيحة بعـد ذلـك بسنوات .. عندما اصدر استاذنـا العميـد الجليل ، الدكتور طه حسين ، قصته المصرية « شجرة البؤس ».. في عام ١٩٥٤ .. وروى فيهـا القصة ذاتهـا ، في صورة

جذابة ، مستوفاة .. اجد وانا في مقام النقد الذاتي ، ان اذكرها الى جانب القصيدة .. وهذه هي منقولة عن « شجرة البؤس » للدكتور طه حسين (ص ١٤٠ – ١٤١):

« قال خالد : وما قصة ام رضوان هذه ؟ قال سليم : كان النساء يتجاذبن احاديث الجن واحاديث الجنيات خاصة حين يظهرن اذا تقدم الليل يرقصن في ضوء القمر . فقالت ام رضوان : لقد رأيت في قريتنا امرا عجبا ، رايته بنفسي فلا استطيع ان اكذبه ، ولو حدثني به احد غيري لرفضته كل الرفض . قال النسوة: وماذا رايت يا ام رضوان ؟ قالت : اني اخاف ان اقص عليكن ما رايت . قال النسوة : بل قصيه علينا ، والحق في ذلك وفي نفوسهن ثقة بان ام رضوان لم ترشينا ، ولكنه الشوق الى القصص ، والرغبة في الشعور بالخوف وهذه اللذة الغريبة التي يجدنها في اثارة الفزع في نفوسهن ..

قالت ام رضوان : كنت اخبز في قريتنا لجارة لنا ذات مساء كما اخبز الآن ، وكانت صاحبة الدار ام عثمان جالسة معي بين اتراب لها وجارات ، وكنا نتحدث كما نتحدث الآن ، واذا امراة من اهل القرية تدخل علينا متفزعة متفجعة ، فاذا سألناها عما بها زعمت لنا انها خرجت مع صاحباتها من آخر الليل يملأن جرارهن ، وانهن لعائدات يغنين في صوت خافت يستأنسن بالغناء من وحشة الليل ، واذا هن يسمعن اصواتا لا يكون يتبينها ، فيصغين ويمددن ابصارهن فيرين نساء يلطمن وجوههن وهن يتغنين بمثل ما تتغنى به النادبات ، فيقلن :

يا ساريات في السحر ... يسعين في ضوء القمر
اذا بدا الصبح الاغر ... فقلن يا نشر الزهر
ان ابا يحيي عمر ... اصابه سهم القدر
فهو صريع محتضر ... هل لك فيه من وطر

قالت ام رضوان : ولم تكد هذه المراة تتم حديثها حتى راينا ام عثمان قد ثارت مولولة ، فنفضت شعرها ، ومزقت ثيابها ، وجعلت تلطم وجهها ، وتضرب صدرها ، ونحن نحاول ان نردها الى الهدوء ونسألها عن امرها ، ولكنها بعد حين تثوب الى نفسها قليلا وتقول لنا في صوت يقطعه الشهيق : انا نشر الزهر .. وعمر ابو يحى هو اخي ! اقرأن تحيتي على زوجي واستوصين بعثمان خيرا ، فلا بد ان ارى اخي قبل ان يموت ، وما اراني ادركه ، ولعلي اعود اليكن والى زوجي وابني اذا انقضت اعوام العزاء ، فالعزاء لا يكون في الايام ولا في الاشهر وانما يكون في الاعوام الطوال . قالت ام رضوان : وكدنا نظن بصاحبتنا الجنون ، ولكن ما راعنا الا ان رايناها تقذف نفسها في التنور ، فلا نرى لها اثرا ولا نسمع لها حسا . كانت جنية تمثلت لابي عثمان امراة فتزوجها وولدت له ابنه عثمان ، ثم جاءها النبأ ان اخاها يحتضر فأسرعت للقائه قبل ان يموت ، وسلكت اليه اقرب الطرق وهو التنور حين يكون ملتهبا .. والجنيات يألفن التنور ، ولذلك لا ينبغي ان يحمى التنور دون ان يذكر اسم الله عند اشعال النار ، فان ذلك يطرد منه الشياطين ، ويؤذن المسلمات بانه سيحمى فيخرجن منه قبل ان يدركهن شيء من النار ... » اهـ .

وقصيدة « الريفية والجن الابيض » .. التي تروى هذه القصة شعرا ، هي احدى قصائد الباب الخاص بالخيال الرمزي .. وهو يشتمل على قصائد اخرى مشابهة .. مثل قصيدة « اشعة من الباب الفضي » ، التي تروي قصة شاعر خيالي ، صعد الى بلاد القمر ، وتحدث الى غانياته ، ثم مات ودفن في ذلك القبر الذي تحيط به الانوار من كل جانب .. وهي القصيدة التي اشرت اليها في مقال سابق .. وما احسب الا ان موضوعها يتصل بهذا الخيال العنيف ، الذي يثير الفزع، وهو يعالج من الموضوعات ما هو غير مألوف ..

وقصيدة اخرى في هذا الباب ، كان فيها غموض كثير ، عنوانها « وحي المرآة في المساء المقمر » .. القمر دائما .. ولكن المرآة في هذه المرة تعكس نوره في الليل ، فتثير في النفس هواجس واحاسيس ومعاني واخيلة ، لا حد لها ، ولا نهاية لما تثيره من فزع ورعب ، او غموض وابهام .. تقول القصيدة :

نظرت الى المرآة والليل مقمر ... يشيع على مصفر وجهي شعاعها
فعدت كأني عابد في كنيسة ... من النور والبلور تخفي التماعها

محتها دموع الساهمين ، وصفرت ... حواشيها احزانهم في صلاتهم
فلما استحالت صفرة في وجوههم ... اضاءت بنور من مشاكي دموعهم

لقد قشعرت جلدي واجرت مدامعي ... وطارت بلبي .. نظرة في السجنجل
اريد يحاكي البدر وجهي ، وانما ... ارى فيه بدرا ميتا لم يغسل

كاني في وجه تقنع ميتا ... فتى تتري في البلاد مغير
مضى يتخفى في جدار ملاطه ... من التبر مصقول اللجين منير

لقد اوحت المرآة للنفس رهبة ... منورة .. لكنها مشعل الموت
تثور بلا نار ، وتخبو بلا هوا ... وترنو بلا عين ، وتبكي بلا صوت

فاي جدار انت في اي معبد ... وهل انت بدر كان قطعا من البدر
وان كنت لا هذا ولا ذاك فاذكري ... أبيلى فتى ميت برؤياك في القبر

هل رأيت ؟.. المرآة تشيع الصفرة على الوجه .. العابد في الكنيسة .. لماذا ..؟ لمعان النور والبلور .. السهوم والدمع .. الحزن في الصلاة .. الجلد يقشعر ، والدموع تنهمر ، والخوف يذهب باللب .. السجنجل اللفظة القديمة التي استعملها امرؤ القيس في معلقته .. البدر الميت الذي لم يغسل .. الوجه المقنع الميت يشبه وجه الفتى التتري المغير .. ماذا جاء هنا بالتتار ؟ لعلها الصفرة .. انه يتخفى في جدار من التبر ، ولا يسير في وضوح ظاهرا للعيان .. هل المرآة قطعة من البدر ؟.

هل يبتلي الميت في قبره برؤية هـذا الشيء المفـزع .. الذي يملأ قلبه برعب يزيد عما هو فيه ؟!

هذا هو مضمون القصيدة ، وهو كثير يملأ شرحه صفحات وصفحات ، رغم ان القطعة لا تزيـد على اثنـي عشر بيتا .. مقسمة الى ستة اصماد .. ولكـن لا شك ان في هذه القصيدة شيئا ، بل اشياء ، يريد صاحبها ان يقولها .. ما هي ؟ ماذا يفهم منها القارىء ؟ وهل يستوي جميع القراء في هذا الفهم ، ام ان كلا منهم سينفرد بفهم خاص لها ؟..

هنا اذكر مقالا نشرته مجلة « ابولو » في عدد يونيه ١٩٣٣ (نفس العدد الذي نشرت لي فيه ترجمة المنظـر الخامس من الفصل الخامس من مكبث لشكسبير شعرا) اما كاتب المقال فهـو الشاعر الكبير والاديب الرائـد عبد الرحمن شكري ثالث الثالوث العظيم الذي دخـل الادب الحديث من اوسع ابوابه ، العقاد والمازني وشكري .. اما المقال فهو في باب النقد الادبي مـن المجلـة ، وعنوانه ، « نقد الطريقة الرمزية وشرح اثرها في اساليب الشعر ومعانيه » ..

يبدا عبد الرحمن شكري مقاله بجملة مركزة تغني عن جميعه يقول فيها :

« مذهب الرمزيين كما اعتقد يشمل امـورا منهـا احلال المشبه به مكان المشبه ، وحذف المشبه في كثير من المواضع . ومنها ادخال تشبيه في تشبيه واستعارة فـي استعارة وخيال في خيال . وثالثها الاسترسال في وصف الهواجس النفسية من غير تمهيـد او شرح ، ويرمزون لهذه الهواجس باشياء تذكرهم بها . ورابعها انهم قـد يشبهونه بثالث ، والثالث برابع الخ .. ثم يحذفون كـل يشبهونه بثالث ، والثالث برابع الخ .. ثم يحذفون كـل هذه الاشياء ما عدا المشبه به الرابع فانهم يبقون لفظـه كي يكون رمزا للمشبه الاول .. ولا شك ان هذا المذهب يتطلب ذكاء وانتباها وثقافة من الشاعر والقارىء ، ولكن اصحابه قد نسوا قول بنـدار الشاعر الاغريقي القديم — على ما اذكر — وقـد اراد ان ينصح شعراء عصره : « ابذروا البذر باليد لا بالزمبيل » .. يعنـي ان الزارع اذا رمى بذرا كثيرا في مكان واحد فان النبات الذي ينبت قد يقتل بعضه بعضا ، وكذلك الشاعر اذا ادخل الصور الشعرية بعضهـا في بعض في جملـة واحـدة افسد بعضها بعضا .. » اهـ ..

والمقال طويل يبلغ قريبا مـن تسع صفحات مـن المجلة .. ويدل على سعة اطلاع كاتبه واحاطته بالموضوع من كل جانب ، ولكنـه يوضح في الوقت نفسه ان الكاتب ينقد هذه الطريقة ولا يوافق عليها .. ولذلك فهو يقول في آخر مقاله :

« اما نصيحتنا فهي ان نصون الثقافة من اساليب وطرق الرمزيين التي يستخدمها المثقفون وغـير المثقفين منهم ، فلا نضع كلمة او عبارة مكان اخـرى كي تكـون رمزا لها ، ولا ان ندمج الصور الفنية بعضها في بعض في جملة او بيتواحد متكثرين بذلكمن الاخيلة والاستعارات والتشبيهات ، ومتعجلين في ايجاد وجه شبه بين شيئين على طريقة الرمزيين ... » الخ ..

كان عبـد الرحمن شكـري اذا يعـارض طريقـة الرمزيين ، التي تمثل في الواقع طريقة المجددين في ذلـك الوقت ، وقد ضرب لها امثلـة في مقاله ، ولكنه كـان مهذبا في عرض موضوعه تهذيبا تقتضيه مكانته الادبيـة الرفيعة .. ولذلك عرض مـا يـراه اصحاب الطريقـة الرمزية محاسن لها ، وما يراه هو عكس ذلك .. لم يكن من قبيل المصادفة ان تضع مجلة « ابولو » عقب مقالـه مباشرة ، مقالا لاحد شعراء الشباب يومئذ ، يتحدث عن « عناصر جمال الفكرة في الاسلوب » .. ويشرح « جمال الابهام الرمزي » . بامثلة من الشعر القديم ، والحديث .. يبدأ فيها بالحديث عن بيت لابي شادي مـن قصيدة « اللهيب المقدس » .. يقول فيه :

قد رشفنا منى الحيـاة بثغـر وارتوينا مـن اللهيب المقدس !

فيقول صاحب المقال ، وهو الشاعر الزميل محمد الهمشري رحمه الله :

« ان العقل الراجح ليعجز عـــن ترجمـة اللهيب المقدس .. وان الخيال ليقف حائرا مشدوها امام تفسير هاتين اللفظتين .. وان كان يجد فيهما العقل والخيـال الفة ، قد تصل في بعض الاحيان الـى حدود المعرفـة القوية ، واصرة الصداقة والخلطة . لكـن هذه المعرفة والصداقة مبهمة .. مبهمة لانها انتقلت من المجال الكامن الى اللاشعور قبل ان تنضج في حيـز الشعور المطلـق القوي .. » .. وبعد ان يتحدث الهمشري كذلك عـن تعبير « السكون المشمس » .. عند طاغور ، يضرب امثلة من الشعر العربي ، عند جميل بثينة ، ومجنون ليلى .. وكل ذلك في نظري لا يخرج عن كونه ردا على مقال « نقد الطريقة الرمزية » .. في اسلوب من المجلة مهذب ايضا..

وقد كتبت في عام ١٩٣٤ مقـالا في ذات الموضوع ، لا اجد اصله تحت يدي الآن في هذا الحصاد .. ولكنـي ارسلته لصحيفة « الاهرام » فنشر في صفحتها الادبية ، اذكر انـنـي دافعت فيـه عــن الطريقة الرمزيـة .. واستشهدت بابيات لشعراء محدثين منهم ابـو شادي ، والهمشري .. ولما كان المشرف عـلى الصفحة الادبية في الاهرام يومئذ ، متطرفا في الدفاع عـن العقاد ، وكانت المعركة قائمة على اشدها بـين العقاد وخصومه ، فقـد تسبب ذلك في تأخير نشر المقال بعض الوقت ، لشبهة اني ادافع عن فريق ضد فريق .. وما كنت اقصد الا عرض الفكرة التي اردت عرضها .. اذ انني لـم اكن في حياتي كلها الا صادرا عن ذات نفسي ، مدافعا عما اراه صوابـا من الراي ، بعيدا عن الخصومات الحزبية المختلفـة ..

اصداء الذكرى

كثيرا مررنـا بهـذا الطريق
ورنت على الدرب اصداؤنا

مـرارا تمنيت الا نفيـق
والا تمـر الثوانـي بنا

وان يحتوينا الفراغ الرقيق
ونسبـح في لحظـات الهنـا

أنـام بصدرك لا استفيـق
ونحكـي لايكتنـا سرنـا

وانت تلملم شعري الطليق
وتمنحـه قبلـة كالسنـا

نطير ونفـزو الخيـال الانيق
ونسمـع بالـروح مالحنـا

انـا الآن اخطو بغير رفيقي
أحـن لدقـات خطواتنـا

يضم فؤادي بقايـا الحريـق
بـروم الحياة بقلب المنى

يلوح لـي في السواد بريـق
ترى أمـل في الليالـي دنـا

القاهرة — فاطمة عبد المقصود يوسف

ولذلك ذهبت الى الجريدة ، وناقشت محـرر الصفحة الادبية ، وهو اديب وشاعر معروف . فلما عرف وجهة نظري اقر المقال .. فنشر في صدر الصفحة ..

ثم كان عام ١٩٤٠ .. وكنت موظفا في ديوان وزاره المعارف ، وجاءت العطلة الصيفية للمدارس .. وحضر الى ديوان الوزارة الاستاذ عبد الرحمن شكري ، وكـان ناظرا لمدرسة بور سعيد الثانوية ، لانجاز بعض الاعمال المتصلة بمدرسته في الديوان .. وحين علم بوجودي ، بعث الي فاستقبلني استقبالا كريما ، ما زال اثره فـي نفسي ، دليلا على تواضع صاحب هذه الشخصية الادبية الكبيرة ، التي ترك عليها النقاد من كتاباتهم عن خصومته مع العقاد ، ظلا من الغموض والابهام .. فان عبد الرحمن شكري كما رأيته في هذه المقابلة الفريدة ، انسان ، كريم ، نبيل ، طيب .. وقد ذكرني بالمقال الذي مـر عليه ست سنوات ، وناقشني فيه ، وقال انه قرأ لـي كثيرا .. وقال لي بعد ذلك « سوف تكون شاعرا كبيرا » . وهذا تفضل كبير منه في المقابلة الوحيدة التي اتيحت لي معه ، وكان هو الداعي اليها ، والحريص على ما قاله فيها .. رحمه الله ..

الخيال الرمزي اذا هو الغموض .. وهـو دعـوى كل جيل يحاول التجديد في الشعر ، بحجة ان ما سبقه اصبح مفهوما اكثر من اللازم ، ومن ثم اصبح متداولا ، ممجوجا .. او على حد تعبير الشاعر الجاهلي القديم نفسه ..

مـا ارانا نقول الا معارا   او معادا مـن لفظنا مكرورا ..

ولكل جيل على ذلك الحق في ان يحس شيئا مـن الغضاضة في اعادة ما قاله السابقون وتكراره .. ولكـن الخطأ ينشأ مـن المغالاة في الشعـور بهـذه الغضاضة ، وتحويلها الى عداوة .. ثم الاستغناء كلية عـن هـذا القديم المكرور ، بأي جديد يحل محله ، حتى ولو كـان ذلك الجديد في نظرنا ، هو الغريب عـن لغتنا وطننـا وذوقنا ، وهو القديم في نفس الوقت المكرور عند اهله من الاجانب ، الذين يبيعون لنا منه سلعة نافقة ، ليبلغـوا منا هدفين عظيمين ، الاول ابعادنا عن قوميتنا وعروبتنا التي هي أصل حضارتنا وقوام نفوسنا.. والثاني تتبيعنا لهم دون ما شعور منا ، حتى نصبح ذيلا لهم ، لا في العلم والصناعة وحدهما ، ولكن في مذهب الفكـر وانطـلاق اللسان ايضا ..

على ان الخيال الرمزي في ديوان « اليخت الذهبي» لم يبلغ الى شيء من تلك المغالاة .. وانما كـان محاولات طبيعية صادقة ، كانت هي في نظري السمة الغالبة علـى هذا الديوان .. وليس مـن القليل في هـذا الشأن ان استطيع جمع عدة قصائد من هذا الضرب ، لاصنع منهـا بابا مستقلا من ابوابه ..

ولست اريد ان اعرض لقصائد اخرى مـن هـذا الباب ، بعد ان عرضت قصيدتي « اليخت الذهبي » .. « واشعة من الباب الفضي » .. من قبل ، ثـم عرضت هنا قصيدتي « الريفية والجن الابيض » ، و « وحـي المرآة في المساء المقمر » .. على ان هناك قصيدة خامسة طالما اشرت اليها من قبل ، دون ان اعرض لهـا كاملة ، وقد وجدتها بين قصائد هذا الباب .. وهـي قصيـدة « حرية الشاعر » .. فوددت ان اعرض لها ايضا .. الا انني فضلت ان اؤجل الحديث عنها الى فرصة اخرى .. لان موضوعها هو « حرية الراي » .. وانا اريد للحديث عن حرية الراي ان يكون مستقلا بمقال خاص ..

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري



الدكتور زكي المحاسني

اخي زكي المحاسني

بقلم الدكتور صفاء خلوصي

* * *

ايه يا اخي زكي ...

ما تزال رسالتي الاخيرة اليك بدون رد ، وقد عجبت من طول الانتظار ، انت الذي عودتني على ان تبعث بردودك الي سراعا ... وعلى عجل !...

ما اكثر رسائلك الي وانت مريض ، مع ذلك فما كنت تتشكى ولا تبعث بأنة ولا آهة ، حتى خيل الي ان ما ينسب اليك من مرض وعكة عابرة بولغ فيها ، الى ان جاءني النعي ، فرجعت من توي الى رسائلك واشعارك وكتبك انشرها بين يدي ، وبعضها لا يزال طري المداد ، ومما زاد في طراوة مدادها هذه الدموع الحرى التي ذرفتها من اجل صديق عزيز راحل ، وان كان الدمع لا يليق بالرجال ، ولكن من اجل من جمع المحاسن يا « محاسني » عندي الف عذر وعذر !

اتذكر يوم بعثت باساطيرك الي وانا نزيل مدينة ليدز ؟

لقد قرأتها معجبا مباركا لك عبقريتك ، ولم اتمالك نفسي من نظم قصيدة في اطرائها والثناء عليها وعليك ... وقد قلت يومها :

عقل العي مقولي   مقولي اليوم خائني !

وما يصدق علي بالامس يصدق علي اليوم مضاعفا، فانا عيي مشدوه ، لا احير بيانا ولا استطيع كلاما ، وان ما اقوله هذيان محموم وهذرمة من اضاع الرشد ، فوقع الصاعقة علي اهون من نبأ نعيك وخبر مفارقتك دنيانا ، وان كانت دنيا لا يأسف على فراقها انسان .

لقد وعدتني بكتابة مقدمة للجزء الجديد من « الفسر » انت يا من لم تخلف وعدا ولم تنكث عهدا ، انت يا من شاطرتني الاعجاب بالمتنبي وراويته ، فاين مني وعدك ومرتقب عهدك ؟

لا ، يا اخي زكي ، لا ، ما هكذا يكون الرحيل ولا الوداع ... فقد تركت رسالة بلا رد ، وكتابا بلا مقدمة، وقلبا بلا نجوى ، فالىَ اين الرحيل على عجل ، يا ابا ذكوان ؟

اتصدق ان ساعي البريد ناولني الرسالة التي تحمل نبأ نعيك وأنا احقق الابيات التالية لصديقك وصفيك المتنبي :

نبكي على الدنيا وما من معشر   جمعتهم الدنيا ، فلم يتفرقوا
أين الاكاسرة الجبابرة الاولى   كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه   حتى ثوى ، فحواه لحد ضيق
خرس اذا نودوا ، كان لم يعلموا   ان الكلام لهم جلال مطلق
فالموت آت ، والنفوس نفائس   والمستغر بما لديه الاحمق

حتى اذا ما فرغت من البيت الاخير واثبته بروايتيه المتباينتين بين من يقول : « المستغر » وبين من يقول : « المستعز » ، فضضت الكتاب ، ويا شؤم ما قرأت ... فايقنت ان المتنبي سبق صاحب الكتاب في ابلاغ نعيك الي ... بأبلغ لفظ واروع عبارة :

نبكي على الدنيا وما من معشر   جمعتهم الدنيا ، فلم يتفرقوا !

اجل لقد كان المتنبي بين نعاتك ورثاتك فقد جمعتنا الدنيا بالمحاسني واقرانه ولداته الطيبين ، وها نحن اولاء بدانا نتفرق واحدا تلو واحد ، فيا تعس الحياة التي لا تبقي على صفي او صديق .

لقد كان اسما على مسمى ، وقلما تصف الاسماء مسمياتها بمثل هذه الدقة والبراعة . كان جملة محاسن، ومجموعة رجال في رجل واحد ، لذلك لا اصدق انه مات ، فقد يموت فيه شخص او شخصان وتبقى جملة شخوص . ربما مات زكي المحاسني الهيكل الفاني ، ولكني لا اصدق ان الشخوص الاخرى الكامنة فيه قضت نحبها جميعا .

قولوا ايها النعاة شيئا آخر غير هذا ، فاني لا اصدق موت زكي المحاسني الباحث والاديب والكاتب والشاعر ... فان هؤلاء احياء لا يموتون .

واسمحوا لي ان اكذب النعي فان رسائله لا تزال طرية المداد امامي وها هي ذه بخطه وقلمه ، بعواطفه المخلصة الصادقة ابدا .

لقد اجتمعت لدي من رسائله طائفة اعتز بها . لقد كتب الي حتى ابان مرضه . كل ذلك لكيلا اشعر بوحشة الاغتراب ، وليس ذلك فحسب بل كان يشفع رسائله بمؤلفاته .. بمقالاته .. بكتبه وقصائده ..

الا ما اشد ظلام الدنيا بدون المحاسني ، بل ما اعظم الكارثة على دنيا الادب والاديب .

دعوني انبذ فكرة التصديق بموته، لانني لا استطيع ان اتصور مجلة « الاديب » خلوا من اسمه الحلو ذي الجرس الرائع والحروف المتلألئة .

كان زكيا ، وكان جملة محاسن ... اقولها حقا وصدقا ، ويقولها معي اصدقاؤه ، وهم كثر في كل بلد من ارجاء الدنيا العربية .

اعتقد انه مات بهيكله الفاني كما مات جهابذة العلماء من قبل : مات والقلم في أنامله ، والافكار الحلوة تداعب ذهنه الوقاد ، والكلمات الذهبية تنساب حلوة الجرس على لسانه الذرب .

كان اكثر من شاعر ، وكان اكثر من اديب . كان عالما وفقيها في اللغة ، واذكر انني بعثت اليه ببيت مغلق من شواهد ابن جني يوم كنت في مدينة ليدز ، بعيدا عن المصادر والمظان ، فبعث الي بتعليق يدل على المعية وذكاء وسعة اطلاع ، ويسرني ان اقول ان هذا التعليق وتعليقات اخرى اعتز بها ستظهر في الجزء المقبل من « الفسر » .

ولا تزال كلماته في احدى رسائله ترن في اذني :

« ساكتب لك دواما لتشعر بالالفة وتنفي عنك شعور الاغتراب ، وفي رسالتي الثانية اخبار من قلبي وحبي ، وشعري في ذلك من بعد الخمسين ، وكان صاحبكم الزهاوي يقول : (واقوى غرام المرء في حين يهرم !) »

وفي موضع آخر يقول :

« طربت جدا وهزتني ابياتك الجميلة المكينة التي تنم على انك شاعر بالطبع ، وحبذا متابعتك في الشعر بنشر خطرات طيبات يواتيك بها الالهام الصافي » .

وقد وقفت معجبا عند قولك « ان ابن جني ربما كان مخترعا لاحدى العبارات او الالفاظ او الاخبار » ثم يسرد حديثا رواه ابو عثمان الجاحظ عن رجل يسمى المكي كان مخترعا للاخبار بشكل بارع عجيب .

ومن خير ما وضعه رحمه الله ثلاثة كتب : علم اللسان العربي ، والفقه اللغوي المقارن ، وتاريخ المعاجم والموسوعات العربية ، ولمحات من الموسوعات الغربية ، وهي محاضرات القاها في كلية الآداب وكلية التربية بالجامعة اللبنانية ، قبل ان يقعده المرض عن متابعة التدريس قبل وفاته بعام ونيف .

ولقد كتب في بعض رسائله متحدثا عن ابي الفتح وكان ، طيب الله بالرحمة ثراه ، شديد الاعجاب به :

« انه من اكبر التشريف لي ان اكتب مقدمة له تليق بالانس والجن » غير انه مضى للقاء ربه (وعجلت اليك ربي لترضى) ، قبل ان تتحقق هذه الامنية ، على انه مع ذلك كتب تقريظا للجزء الاول لبعض دور الاذاعة ارجو ان اوفق في الحصول عليه ، فاوشح به بعض اجزاء الكتاب المقبلة .

ولا مزية في ان المحاسني كان دائرة معارف وموسوعة لغوية ادبية علمية دون بعضها وضاع الكثير مع الاسف اذ مات في اوج نضجه ولما يوفق الى تدوين كل ما كان يملأ ذهنه الواسع الجبار .

ولقد تألمت كثيرا عندما كتب الي في اخريات ايامه مشيرا الى احدى رسائلي :

« قرأتها بالمنظار اليدوي ، اذ ان نظري ضعف لتناول الكورتيزون ضد الروماتزم » .

ووقفت لحظة اذ تذكرت المأسوف عليه الدكتور مصطفى جواد وكيف ان الكورتيزون الذي تناوله لمعالجة الروماتزم دمر قلبه ، فكتبت اليه ان يقلل من تناوله ان استطاع الى ذلك سبيلا .

ولكن سبق السيف العذل ، فقد مضى زين المجالس والمحافل وصالات التدريس ، سيد القرطاس والمنصة ، ووالله لو شاء – كما قال ابو العتاهية – ان يجعل كلامه كله شعرا لفعل ، فقد كان القريض يواتيه عن طبع سليم وسليقة وصيلة .

ساتخيل صورته في كل صفحة من صفحات « الاديب » ، واتوهم رسائله في ثنايا الرسائل التي تردني كل يوم ، بل اسمع صوته مجلجلا من بعيد من صالات الجامعة اللبنانية ، وجامعة دمشق !..

انه اكثر من اديب ، واكثر من شاعر ، واكثر من استاذ ...

انه رمز ... اجل ! لقد كان زكي المحاسني رمزا مباركا من رموز الحرف العربي الاليق .

لندن　　　　صفاء خلوصي

ايها البلبل

نظم جميل صدقي الزهاوي ، هذه الرباعية باللغة الفارسية ، وقد ترجمها لي احد الاصدقاء ، فنظمتها على الصورة الاتية :

أنا ذاك الهزار يبكي التياعا
أبدا من فراق ورد الجنان
أنا أشكو حينا صدود الريا
حين وحينا من شوكها ذي السنان
ليس في النوح بيننا من فروق
يا هزار الرياض في ذا الزمان
أنت تبكي وجدا على خد ورد
وبكائي على خدود الحسان

بغداد　　　　عبد الرزاق الهلالي

اصـــــــداء

أديـل الخشـن

خاصمني ، فتلقى مزيدا من الحب !
جديدا من ثمار الحب !
خاصمني وغمغم ،
اغمض عينيك عن رؤيتي
فرسمي ملتصق باجفانك
وانت لا ترى سواي !
خاصمني واسترح على كرسيك
اغرق في صمتك المثير ،
افتح الكتاب وابتدىء من الصفحة الاولى
فالحروف تتحرك ، تقفز وتطير ...
تلتصق صورا على النوافذ والجدران
ورسمي يتربع عليها كلها !
خاصمني وذرذر كلمات اللوم
اقتلع وجهي الراسي على اهدابك
اطلق نوافير اللهب من صدرك
فالرتابـة تميت الحب
تخنق انتفاضاته ،
والخصام يؤجج الركود !
ويفجر وروده
خاصمني ، اخترع ان تخاصمني
علمني ان احبك اكثر !
هذه النيران المندلعة في غابة صدرك
هذا الفوران المتراقص على شفتيك ،
تجلو الزنابق في عيني
فينساب شذاها
حتى الهياكل المهجورة .

ما اروعك ثائرا عنيفا
تصفع وجـه الشتاء
وتمـلا جراري كوثرا
صراخك يرجني ، يقتلع اشواكي
يفرسني على اصابعك خشوعا وسكينة ،
فتتكور في نفسي ازهار البنفسج
عيناي تصافحان عينيك ...
وتسهر على ليالينا كل النهارات !
يدك المتوهجة ، تحمل الشعل الخالدة
تصهرني باللهب المختلج
فتندى في انسيابها عروق الرخام
وترتاح شذى على جبيني .
خاصمني ، فبعد كل خصام
أراك اجمل ! أحسك اقوى ...
اخترع ان تخاصمني
امسح عيني بعطور جديده
علمني ان احبك اكثر !.

الشويفات ــ لبنان



فاضل السباعي

رسائل من علي الناصر

بقلم فاضل السباعي

* * *

عامان تقضيا على وفاة الشاعر علي الناصر (۱۸۹۰ - ۱۹۷۰) ... وانا ، كلما جلست الى ديوانه « اثنان في واحد » ، اتسمع صوته وهو يلقي علي اجمل مقطوعاته الشعرية ، فاذا عدت الى رسائله عندي، احسست روحه تتجلى في كل سطر ، في كل كلمة ، في كل نبضة حرف .

ان عندي من رسائله سبع عشرة رسالة ، هي ما تلقيت منه على مدى ثلاثة اعوام ونيف ، منذ غادرت حلب مقيما في دمشق العام ١٩٦٦ . ولئن اتسمت هذه المجموعة من الرسائل ، بالعفوية والحميمية ، لهي كذلك تعبر عن عالم علي الناصر الخاص : فكره ، وفنه ، وعواطفه ، وصبواته ، واطواره النفسية ، وهمومه العامة والذاتية ، همومه انسانا ، وصديقا ، وطبيبا ، وشاعرا ، بل وناشرا ايضا .

ولاعترف بأني راجعت النفس طويلا ، قبل ان صح عزمي على تقديمها الى « الاديب » ، المجلة التي رعت الناصر الشاعر عندما رحبت على الدوام بما كنت اوافيها من نتاج هذا المجدد المتميز بفته وشخصه . فأما ما حملني على التردد في نشرها ، فهو ان المرسل قد اغدق فيها ثناء على المرسل اليه ما كان ليستحق الا بعضه القليل . وفي الحق ، لم يكن الثناء الا نتيجة طبيعية لما ساد بيننا من وطيد العلاقة : فقد دابت على مراسلته ، وهو في عزلته التي يسميها ، آنا : « سجني الرهيب » (الرسالة السادسة) ، ويحس ، آنا آخر ، وهو في هذه العزلة ، انه « يمشي مسرعا الى القبر » (الرسالة الثانية) فضلا عن اني ندبت نفسي لمهمة هي ارسال مقطوعاته الشعرية الى بعض المجلات لنشرها ، وهو الذي عزف على الدوام بعزوفه عن تقديم نتاجه الى النشر (وليرجع من يشاء الى مقالي « الشاعر علي الناصر » ، « الاديب » ، يوليو - تموز ١٩٧١) .

اقول : راجعت نفسي طويلا ، حتى لقد هممت بأن آتي حذفا على كل عبارة ثناء وردت في الرسائل ، لولا ان الدكتور عبد السلام العجيلي ، ثم الاستاذ سعد صائب - وهما صديقا الراحل العزيز وصديقاي - لم يؤيداني في ما انتويت ، بل لقد حرضاني تحريضا على ان انشر الرسائل كما هي ، فليس لي ان « اغير » فيها (والحذف تغيير) ، واما ما ورد فيها من رأي للناصر في ، فانما ذاك رأيه هو ... فغلبني ألكريمان على امري .

وهانذا اقدم الرسائل الى القراء كاملة ، الا ما يجري عليه قلم استاذنا البير اديب ، وذلك شانه .

على انه يهمني ان ابين اني عمدت الى تذييلها بهوامش توضح ما رأيت انه يحتاج الى توضيح . كما اني اغفلت ، احيانا ولاسباب غير خافية ، اثبات اسماء بعض الاشخاص ، رامزا لهم بحروف ابجدية .

- ١ -

حلب ١٢ - ٦ - ١٩٦٦

عزيزي فاضل

ان ذهابك من حلب قد احدث عندي فراغا لا يمكن ملؤه، فقد كنت صلة الوصل بيني وبين العالم . فانني الآن اعيش كما تعيش اي حشرة على وجه الارض ، وقد جف معين الشعر ولم يبق ما يثيرني ، كما ان « ج » (١) هي في بيروت الآن ، ولا ادري متى تعود .

خبرني مفصلا عن احوالك ، ولا تتماهل بالكتابة الي ، فأنا حريص ان اطمئن عليك من كل ناحية . وارجو ان تكون بلغت ما تصبو اليه في دمشق من الوجهة الفنية .

ارجوك ان تسعى للاتصال بالسيد « ك. ف. » ، وتأخذ منه نسخة « قصة ايام » ، فلا ترى فائدة من بقائها في حوزته ، لانه على ما يظهر قوال غير فعال (٢) .

١ - « ج » ، هي صديقة كانت تسلي وحدته في اعوامه الاخيرة ، وقد طالما حدثني عنها حديث امتنان .

٢ - كان قد سلم لهذا الصديق المقيم في دمشق ، نسخة من

احترامي لكل من يسأل عني، واشواقي لك عظيمة، واتمنى للعائلة الكريمة كل هناء . (علي الناصر)

ـ ٢ ـ

حلب ١٦ ـ ٧ ـ ١٩٦٦

عزيزي فاضل !

انك في عدم جوابك على كتابي الذي ارسلته اليك من مدة غير وجيزة شوشت فكري ، ولا اعرف احدا هنا يمكنه اعلامي عن احوالك . فأرجو ان يكون صمتك ناشئا عن الكسل او اهمال صديقك الدكتور (٣) .

ما عدت اجسر ان اطلب منك استرداد «قصة ايام» من « ك. ف. » ، لانني ما عدت مهتما الا بك .

انني كنت مشغولا بمطالعة كتاب امراض الجلد الانكليزي الذي طلبته اخيرا ، وهو من اهم ما اخرجه الغرب في هذا الموضوع . ولقد اتممته . وبالرغم من الارهاق الذي اصابني ، وفقداني صحتي ، ما كنت آسفا ، بسبب الفائدة الجلى التي حصلت عليها منه .

اما الآن فارجو الا يتخلى عني الشعر (.....) ، لا سيما في هذه الايام العصيبة التي اجتازها وانا أمشي مسرعا الى القبر .

البارحة أتاني هذا البيت :

تملا النفس عنوة حسرات … حين تكبو اشواقها من كلال

وفي الختام ، احتراماتي لمن يتذكرني عندكم . ودم لاخيك الكبير : (علي الناصر)

ـ ٣ ـ

حلب ٣ ـ ١ ـ ١٩٦٧

ولدي العزيز فاضل !

ان رسالتك الرقيقة قد بخرت كل عتب متراكم عندي . انك حقا لبق حتى بأعذارك . ان ودك الاكيد وحبك الصادق قد آنسا وحدتي وخففا من ضجري ومن الم الصلب اللعين الذي لا يريد ان يتركني وشأني (٤) . فأشكرك كما شكرت صديقا قديما ما تركني لحظة لوحدي لا في السراء ولا في الضراء ، بالابيات التالية :

صديق يلبيني وما من مرة … ويرأم أحزاني ويقصر ايامي
ويغمض جفنا افقد الليل أمنه … ويضمد بالمعروف مقدوري الدامي
ومما يزيد النفس ذلا شكاية … تند فيدمى كبريائي لايلامي

١٩ ـ ١٢ ـ ١٩٦٦

ان هذه الايام كرمت علي ـ غير مشكورة ـ بكثير من المقطوعات الشعرية التي نازعتني نفسي مرارا الى تمزيقها ، لا سيما حين أفكر بتبييضها ونقلها وانا ما انا عليه من كراهية التصحيح والتسجيل . وبعد فقد جمعتها ووضعتها كما هي . يا فاضل اين انت ؟ ان القدر حرمني حتى منك ومن عونك وابعدك الى دمشق . لم تذكر لي شيئا عن رواياتك وعن أعمالك الادبية . بلغ تحياتي الى الدكتورة زاهدة (٥) . وتقبل مني أصدق التمنيات واحر الاشواق .

حاشية : ضاقت روحي من متابعة الكتابة ، المعذرة . (الدكتور علي الناصر)

ـ ٤ ـ

حلب في ١٢ ـ ٩ ـ ١٩٦٧

فاضلي العزيز

ليس لي الا الشكر على اخلاصك وصدق مودتك لي . ان الوفاء هبة لا تعطى الا للذين صفت نفوسهم وسمت ، وهؤلاء المصطفون يمنحون الحياة بالرغم عن جدبها نفحة عطرة تحبب النفوس اليها ، وانت يا صديقي الصغير سنا والكبير قدرا منهم (٦) .

سأسعى جهدي بالرغم عن تدهور صحتي وكثرة همومي ، ان ازورك في دمشق ، لان في نفسي حاجة ملحاحة لرؤيتك . وارجو ان تكون هذه الزيارة قريبة (٧)

خبرني عن احوالك ، ولا تقطع مراسلتك مهما كانت الظروف .

ودم لمن يعزك ك « وائل » (٨) ، ايها الوفي الكريم .

(الدكتور علي الناصر)

لا بأس من ان اطلعك على ابيات كتبتها في تاريخ ١٧ ـ ٨ ـ ١٩٦٧ لتلمس حقيقة ما أنا فيه :

بدا الوهم يلفظ أنفاسه … وغيب في القلب عرس الشفق
افقت وما زلت اهذي سدى … كأني من غفلتي لم افق
رأيت جبين المنون البليد … بكهفين ما زينا بالحدق
يكشر والهزء في وجهه … (. . . . .)

ـ ٥ ـ

حلب الاحد ١١ ـ ٢ ـ ١٩٦٨

صديقي وولدي العزيز !

استلمت رسالتك (٩) ، وقرات ما كتب بشأنك في مجلة « الاديب » . ومع اني اكره هذا الجدل العقيم والذي هو من سوءة من سوءات مجتمعنا الاناني الجاهل والمدعي ، الا انني لا اكره ان تكون موضوع هذا الجدل .

وانت تعلم يا صديقي القصصي ، انني مغرم بالنقد الهادف الذي يثير الحق والخير والحركة في مجتمعنا العربي ، مع اشمئزازي من « البهلوانيات » والجعجعة ، وقد اوشكت ان انهار عصبيا من هذه السخافات التي يضاع فيها الوقت ، ونحن احوج ما نكون الى البناء

ديوانه المخطوط « قصة ايام » ، املا في ان يعرضها على من يعرف من الناشرين . ثم بدا انه لم يوفق في نشرها .

٣ ـ الحق لقد شغلت ، في هذه الفترة ما بين تاريخي الرسالتين، بالبحث الدائب عن بيت في دمشق استاجره ، وانه لمطلب عسير !

٤ ـ كنت قد كتبت اليه ، في ٢٠ ـ ٧ ـ ١٩٦٦ ، جوابا على رسالته الثانية . ثم ساد بيننا صمت طويل ، حتى كتبت اليه، في ٢٥ ـ ١٢ ـ ١٩٦٦ ، اقول معتذرا : « ... قعدت اليوم في غرفتي في منزلي ، بعد تأنيب ضمير استمر سبعة أشهر ، من اواخر ايار ١٩٦٦ وحتى اواخر كانون الاول هذا : مؤداه اني قصرت في الكتابة اليك وفي ارسال اشعارك الى النشر ... وانا الذي ادرك مدى السعادة التي تخلفها في نفسك رؤيتك شعرك الرائع منشورا » .

والصدق في البناء ، والى الجهد المخلص في سبيل الله والوطن والعروبة .

صدق انني ما عدت اتحمل المذياع ، لئلا ارهق بضجيج الاعجاب الكاذب والهتاف العريض والتصفيق الاحمق ، الذي ان دل على شيء فانــه لا يدل الا على الانحطاط والتفاهة في عصر يقدس العقل في عمقه العلمي وطموحه الذي لا يحد . ولذا أرجوك الا تضيع وقتك بالاخذ والرد ، وان تمشي قدما الى غايتك المنشودة .

(. . . . .) (١٠)

(الدكتور علي الناصر)

ـ ٦ ـ

حلب ٤ ـ ٣ ـ ١٩٦٨

صديقي وولدي الوفي فاضل !

أخذت رسالتك ، وشكرتك من صميم قلبي لتنبيهي الى الغلطة النحوية ، وقد صححتها كما ترى (١١) . أما تغير القافية في المقطوعة الثانية فهو سهو اثناء نقلها ، فالكلمة هي « اوهامي » وليست « الحادي » (١٢) .

كما أني لا ادري كيف اعبر لــك عــن امتناني لاهتمامك بي ولهــذا الجهــد النبيل في سبيل نشر مقطوعاتي . وها أنا ارسل البعض من الجديد منها :

القطعة الاولى عنوانها « أوروبوروس » ، هي رمز للابدية ، عبارة عن ثعبان على شكل دائرة رأسه يأكل ذنبه ، (. . . . . . .)

اما المقطوعة الثانية ، وسبب كتابتها هو اننا كنا في سهرة رائعة وكانت احدى السيدات المشهورة بجمالها ودلالها تجلس صدفة امامي ، (. . . . .)

وكنت في الظاهر غارقا في ذهول امام هذا المنظر ، فما كان من صديق يجلس جنبي الا ان نبهني « لقلة ادبي » :

كيف أسعى ان اغمض العين عما   شاقها ؟... تلك خطة لا تطاق
لــو رأت عينك الكليلة آنــا   مـا أراه ، لشب فيها احتراق
آن مــن خدعــة الجمال ووهمي   ان تجلــى خيالـي الخلاق

والمقطوعة الثالثــة هــي استعراض سينمائي Retrograde (أي باتجاه معكوس) لعيــون دلهتني في الماضي :

سهوت ، فمرت امــامِ الخيــال   عيــون تباهــي بأسرارهــا
حدائق مــن مبدعات الجمــال   تــرف وتزهــو بنوارهــا
تعيد غوايـات مـاض سحيــق   وتمــلا روحــي بأنوارهــا
فأهلا بسمار ليلــي الطويــل   تسلــي الوحيــد بأخبارهــا

واما الرابعة ، فاني اخشى ان تكــون فاتحة حب جديد ، وارجو باخلاص الا احمل قلبي فوق طاقته :

مــن ابــدع الالــوان أسطــورة   في العين والثغــر ومــوج الشعر
مــن اودع الاسرار فيها ، ومــن   أوحــى لقلبــي حظــه المنتظــر
ها قد بدا ليلي يحث الخطــى   فما أحيلاه ابتسام السحــر
وما احيلى الروح تزهــو كمــا   يزهو الربيــع الفض غب المطــر
حق زكاة الحسن ، حــق لمــن   أغناه بالوهم السخــي واصطبــر

عزيزي فاضل : ان روحي بدأت تزهق مــن كتابة هذه الرسالة المطولة ، ولا شك أنــك لاحظت اضطراب الخط والشطب فيها ، ولكني لست آسفا ، فقد تخفف من تكاليف حياتك وتوحي اليك بأننـــا نسمر سوية في سجني الرهيب .

شوقي وامتناني اليك ، والــى لقــاء عاجل .

(الدكتور علي الناصر)

---

٥ ـ الدكتورة زاهدة حميد باشا ، هي اليوم « مديرة التخطيط » في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، الوزارة التي كنت اعمل فيها. وهي شقيقة صديقه الحميم السيد حميد باشا مــن وجهاء حلب . وتحمل السيدة زاهدة شهادة دكتوراه فلسفة في العلوم الاجتماعية مــن الجامعة الامريكية في واشنطن ، العام ١٩٥١ .

٦ ـ الباعث على شكره هنا ، اني كتبت اليــه ، في ٣ ـ ٨ ـ ١٩٦٧ ، اعلمه ان مقطوعات شعرية له ، مما وجهت الى المجلات ، قد نشرت بعضها مجلة « الثقافة » الدمشقية ، في احد اعدادها الصادرة في حزيران ١٩٦٧ ، بعنوان « اشعار لهم » ، وان « الاديب » نشرت له مقطوعة « لا جدوى » في عدد سبتمبر ـ ايلول ١٩٦٧ .

٧ ـ عبر ، اكثر من مرة ، عــن رغبته في القيام بهــذه الزيارة . ولكنه لم يفعل .

٨ ـ « وائل » هو ابنه البكر (من مواليد حلب ١٩٣٤) ، ولــه غيره ابنته « تيماء » التي سبق ان نشرت لهــا « الاديب » مقطوعات نثرية في اوائل الستينات .

٩ ـ كنت قد كتبت اليــه ، في ٦ ـ ١ ـ ١٩٦٨ ، اعلمــه ان « الاديب » قد نشرت له « جذوة » ، في عدد نوفمبر ـ تشرين الثانــي ١٩٦٧ ، و « دمعة » ، في عدد يناير ـ كانون الثاني ١٩٦٨ . ولكنه ، هنا ، يشير الى رسالتي التي تلتها ، المؤرخــة في ٨ ـ ٢ ـ ١٩٦٨ والتي اعلمه فيها ان مقطوعته « في حمى القبر » ـ وهي احدى عديــد من المقطوعات الشعرية التي استحصلت عليها منه في زيارتي الاولــى لحلب اواخر العام ١٩٦٧ بعد غياب دام عاما ونصف العام ـ قد تــم نشرها في عدد فبراير ـ شباط ١٩٦٨ من « الاديب » ، كما لفت نظره، في هذه الرسالة ، الى كلمات قد نشرت في ذلك العدد من « الاديب » تدافع عني في مواجهة هجوم غير عاقل كتبته ، في العدد الاسبق ، مــن تدعى « لمياء بحصلي » ، التي تبين لي ، بعدئذ ، ان وراء هــذا الاسم المنحول كاتبا عابثا !

١٠ ـ كنت قد نشرت في مجلة « المعرفــة » الدمشقية ، عــدد حزيران ـ يونيو ١٩٧١ ، بمناسبة مرور عام على مصرع الشاعر ، مقالا عنوانه « الشاعر علي الناصر » ، ضمنته هــذه المقطوعة النثريــة : « صورة » .

١١ ـ كان مما املى علي ، في زيارتي له في حلب، مقطوعة مطلعها .
لا (يأتني) الوعي الا حين يصرعني (. . . . . . .)
فرددتها اليه ، وقد ذيلتها بقولــي : « الصواب (لا يأتيني) وعندها ينكسر البيت » . فأعادها الي بعد ان صححها : « لا أفقــه الوعي الا ... » .

١٢ ـ كانت القافية ، في هذه المقطوعة الثانيــة ، « ميمية » . ولكن بدا اني كتبت سهوا آخر كلمة في البيت الاخير ، في اثناء الاملاء: « الحادي » بدلا عن « اوهامي » .

١٣ ـ قصرت ، طوال تسعة اشهر ، فلم اخط اليــه كلمة ، أو انشر من اشعاره شيئا !

١٤ ـ انه يعني ديوانه الذي سماه اخيرا : « اثنان في واحد » .

١٥ ـ لقد كان حدسه صادقا بأن هذا آخر اثر له . ولكن المنيــة لم توافه لضعف في بدنه .

حنين

حنيني اليه ، لمقلة زائر
حنيني اليه ، ولما يغادر
لصوت يثير الحياة بصدري
حنيني ، فديت مثيرا وثائر
لصدر يضج بخفقات كبر
واخير ما ضمنته السرائر
لعطر يضمخ دنيا فؤاد
لضوء ينير السبيل لحائر
لطير تعالى فويق الغمائـ
ـم ، حط بقربي فامسيت طائر
كبير كبير حنيني لزائر
فكيف الهي حين يغادر

امبرة الحوماني

— ٧ —

حلب ١٢ — ١١ — ١٩٦٨

فاضلي العزيز

ان شوقي لك ولسماع نجاحاتك لعظيم (١٣) .

وبعد ، فانك سمعت بأمر نشر منتخبات شعرية مني ولوحات سريالية من « عدنان ميسر » التي سيتم طبعها في آخر هذا الشهر تقريبا (١٤) . وانني لآمل ان تكون ذات اثر بالاوساط الادبية العربية والاجنبية على السواء . واظن يا عزيزي سيكون هذا آخر اثر لي ، لان صحتي ليست على ما يرام روحيا وجسديا (١٥) .

(. . . . .) اخشى على ذاكرتي ان تضعف ، وانت تعلم درجة مسؤوليتي الطبية والادبية .

وها انا مرسل لك آخر مقطوعة تعبر لك عن حالتي النفسية ، ارجو ان ترسلها الى مجلة « الاديب » ، مهداة الى الشاعر الكبير الصديق امين نخلة ، واظن أنها تؤلمه لان الشيخوخة مؤلمة ومهينة ، والسلام .

حتى التوافه امست في نذالتها … تبدى التحدي، وما كانت تحداني
ويح السنين ، وليست ذات معرفة … بما تجاهد في تقويض أركاني
اشد ظهري وامشي حاملا ثقلي … آبى الخضوع، وآبى ذل خسراني
امشي، فأسمع نعيي اينما اتجهت … اشواق نفسي، كان الكل ينعاني(١٦)

٨ — ١١ — ١٩٦٨ (بلا توقيع)

— ٨ —

حلب ١٨ — ١١ — ١٩٦٨

فاضلي الحبيب

انني أشكرك من صميم قلبي على صدق عاطفتك وعميق ودك نحوي .

وقد قرات اقصوصتك « يقظة بعد سبات طويل » (١٧) ، فهي وان كانت تعبر عن حلم مزعج تعبيرا لبقا ، كما هو معروف عندي عن لباقتك في قص الاقاصيص ، الا انني لا احبذ ان تضيع وقتك في مثل هذه الاشياء الزائلة التي عمرها اقصر من عمر الورد .

ان تسجيل الاحلام « موضة » قديمة، وقد سجلت حلمين منها منذ ما يقرب من خمس وثلاثين سنة تقريبا لغرابتهما . اما اعطاءها قيمة اكبر مما تستحق فهو خطأ . وارجو بصدق الا تتاثر برايي هذا . خض يا صديقي الصغير معمعان الحياة بشوق صادق وايمان ، وستجد ما يجبرك على تسجيل اقاصيص منها رائعة وعميقة ومفيدة .

ساقرأ رسالتك على « أ. ن. » متى زارني (١٨) ، وسنقدم لك أنا وعدنان نسخة من الديوان حين صدوره، مع تقديرنا وودنا وادعيتنا لنجاحك ، والسلام .

(علي الناصر)

حاشية : قدمت لي احدى الآنسات مجموعة من الشعر الانكليزي (١٩) بالكلمة التالية :

اللهم امنحه الصحة والعافية ...
اللهم أعطه الخير والابتسامة القلبية ...
اللهم أعط الدكتور علي الناصر الامل الذي تملأ به النفوس الكبيرة ...
ولك الشكر يا ربي لانك تسمع دعائي .

١٥ — ١١ — ١٩٦٨

واعترف لك ان هذه الصلاة الخالصة الصافية كدمعة الام ، كانت لي بلسما للجراح التي تنزف وتنزف بأنياب اخواتها بنات حواء ، وهي كفارة عن آثامهن التي يأتينها ولا يدرين . وقد تركتني هذه الكلمة آسف على كتابة الابيات التي ارسلتها اليك . وها أنا اصلي لها من اعماق بؤسي ، (.........) لاختم صلاتي : « ولك الشكر يا ربي لانك تسمع دعائي » .

دمشق — فاضل السباعي

---

١٦ — اسميت هذه المقطوعة « ويح السنين » ، ووجهتها الى « الاديب » في ١٤ — ١١ — ١٩٦٨ ونشرت في عدد مايو — ايار ١٩٦٩ مهداة الى « الشاعر الكبير الصديق امين نخلة » .

١٧ — مجلة « المجلة » القاهرية ، عدد نوفمبر — تشرين الثاني ١٩٦٨ .

١٨ — « أ. ن. » هو كهل متادب ، كان يتردد على الشاعر . والحق انه هو الذي وثق التعارف بيني وبينه منذ اواخر العام ١٩٦٤ وقد كتب ، في مجلة « الضاد » الحلبية ، العدد المزدوج ٩ و ١٠ ايلول وتشرين الاول ١٩٦٨ كلمة عني لم ترق لي ، فوجدتني « اشكو » امري الى الناصر ، في رسالتي المؤرخة في ١٤ — ١١ — ١٩٦٨ ، وختمتها برجائي ان يقرأ على « ا. ن. » ما اوردت في رسالتي عنه .

١٩ — واضح ان فعل « قدمت » ، هنا ، يعني : « كتبت تقديما » وليس « قدمت هدية » . وما اعلمه انه كان لدى الناصر اشعار له مترجمة الى الانكليزية واخرى الى الفرنسية .

قطرات من المطر بللت شعرها وجبينها ، فمدت اصابعها النحيفة، ومسحت بالماء وجهها كله ومرت على شفتيها الجافتين بلسانها .. النار في كل مكان .. في الجو والهواء ، وبالاخص في قلبها .. انها شعلة ملتهبة ، تتأجج وتتقد ، ويرتفع شواظها ...

تشعر لو انها انفجرت فستدمر كل ما حولها تدميرا ، ولكنها لا تنفجر .. النار مشبوبة في حنايا ضلوعها ، والسنتها مخيفة حمراء .. والقيظ شديد قاس .. وهي هنا تنتظر .. ولكن لماذا تنتظر ؟ ومن تنتظر ؟..

قطرات من المطر سقطت برهة من الزمن ثم كفت ، ويا ليتها لم تكف، حتى تخف وطأة القيظ وتتنفس الارض ، وتتنشق رئات الخلائق نسيما بليلا ينعشها ويحييها .

ولكن قطرات المطر التي تخفف من حدة الجو لا تخفف من حدة النار الآكلة في احشائها شيئا .. ليتها تستطيع ان تفتح منفذا في جسمها حتى تنساب بعض القطرات وتطفيء السنة النار المتوهجة ... ولكن اين القدرة لها على ذلك ؟ جسم مغلق يتقد فيه اللهب كأتون مغطى بالطين من كل جهة حتى لا تتفتح فيه اي مسام للتنفس ...

خروف داخل الاتون يطهى ويتحمر .. قلبها ذلك الخروف ، ولكن الخروف لا يحس ولا يشعر ، اما قلبها فهو حي يستنجد ويصرخ .. كل عرق فيه وكل خلجة تنتفض .. انها تنتظر .. وكل دقيقة لها حساب في مقياس الزمن ...

كل دقيقة تقربها من الموعد الذي حددته مع فائز حتى تبت في موضوع مستقبلها معه بصفة نهائية ...

كانا يدرسان في معهد واحد ، يسبقها بعامين في الدراسة ، ويكبرها باربع سنوات . اتفقت معه في الكثير من الآراء ونشأ بينهما ميل قوي استحال الى حب جارف .

لقد تخرج هذه السنة وانهى دراسته ، ومنذ عامين يخرجان معا منفردين ويتقابلان في بعض المنتزهات ، ويراجعان دروسهما في المكتبات ، وكانا لا يفترقان عن بعضهما الا في النادر . وتأكد لجميع معارفهما انهما خطيبان متحابان ، ولكنها هي بقيت حائرة ، لانه لم يفاتحها قط في موضوع الزواج ...

انه يحبها ، هذا لا شك فيه ، وعبر لها عن ميله العظيم اليها عدة مرات ، ولكنه لم يطرق قط موضوع الزواج . واليوم بعد ان مضى على تخرجه عام واصبح



بقلم ناجية ثامر

يعمل استاذا في الجامعة ، لم يعد هناك بينهما اي مانع .. فلماذا لم يتقدم لحد الآن الى طلب يدها ؟..

هل يريد استبقاءها كزميلة وصديقة مقربة ليس الا ؟..

هل راى فيها صفات لا تؤهلها لتكون زوجته ؟ ولكنه يمدح دائما خصالها ، ولا يرعوي عن القول بأن مثلها في النساء نادر ...

جمال وثقافة ، وتواضع واخلاق كريمة ، ومؤهلات ربة بيت ممتازة .. اذن ماذا ؟..

هل كل هذه الصفات لا تكفي ليتقدم ويطلب يدها ، ويطفيء النار المتأججة في فؤادها ؟ منذ عام كامل بعد تخرجه ظلت تنتظر ان ينطق هذه العبارة : هل تقبلين يا عائدة ان تكوني زوجتي ؟. .



مضى العام الاول بمثابة تعارف تم بينهما ، نما فيه الميل وتشعبت فروعه . ثم انقضى عامان آخران ازدادت العلاقة بينهما تمتنا ، وظهر التفاهم والتلاؤم بينهما واضحا جليا ، ثم حاز على الاجازة بتفوق ، وها هو العام الرابع يوشك ان ينقضي ...

مضى ٣٥٠ يوما ، ما يقارب العام ، وفي كل يوم حين يتقابلان تنتظر بلهفة ان يفاتحها في امر الزواج .. وينقضي الموعد ، ويوصلها الى قرب باب المنزل ، ثم يودعها بعد ان يضرب معها موعدا للقاء جديد ... وتمضي ليلها وهي مؤرقة الجفن تلقي على نفسها عدة اسئلة ولا من مجيب .. وتعزم على وضع حد للعذاب الذي تقاسيه بمبادرته بالسؤال عما يفكر فيه في ما يخص مستقبلهما . خير لها ان تكون البادئة من ان تبقى في هذا الالم المضني ... اذا كان لا يفكر في الزواج ، فمن الخير فصم علاقتهما، لان حبها العظيم آخذ في النمو مع الايام ، وفي نشر فروعه في كل خلية في جسمها ... كان جمرة صغيرة ، واضحى اتونا ملتهبا .. واذا بقيت الحال كما هي ، فلا شك ان النار ستأكلها اكلا ...

هل تقبلين ان تكوني زوجتي ؟ جملة واحدة مكونة من خمس كلمات فقط ، تهمد نار الاتون وتحيلها بردا وسلاما ...

ان الطقس شديد الحرارة يصبح ربيعا مزهرا ، والسنة النار تمسي ورودا تفوح بعبير يملأ الجو سحرا وفتونا ...

ايتها القطرات الهابطة من السماء ، لم لا تتحولين الى احرف ناطقة تفتح امامي ابواب الامل والرجاء ؟ لم تبقين هكذا صماء

خرساء ، ولا تمسين من جسمي الا بشرتي الخارجية ؟.. جوارحي تهتف ، عيناي تتحدثان ، شفتاي ترتعدان في انتظار هذه الجملة الخالدة ، ولكنه هو لا يشعر ... ام تراه يشعر ، ولكنه يتظاهر بالتغافل والتغاضي وعدم المبالاة ؟.. الا يدرك ان المراة التي تحب لا تكتفي بعاطفة الحب وحدها ، وتطمح لان تمتن هذه الرابطة بوثيقة رسمية .. هذه الوثيقة التي لا تؤثر اي تأثير على العواطف ، فكم من اناس مرتبطين بالوثائق ، وهم يعيشون تحت سقف واحد غرباء ، لا يتفاهمون في اي شيء من الاشياء ...

ومنهم من يتبادلون المقت والكره الشديد ، ولا يقدرون على الفراق بسبب هذه الوثيقة التي تصبح عبئا ثقيلا لا يحتمل في نظرهم . انها تعرف كل هذا واكثر .. وبالرغم من كل ذلك فهي تتوق وتطمح الى هذه الوثيقة بكل جوارحها ، وان تكن بدون اية قيمة بالنسبة للعواطف البشرية ...

المرأة مقيدة في نظر المجتمع مهما تحررت ، وهذه الوثيقة تسمح لها بجهر حبها للرجل الذي اختارته بدون خشية ولا وجل ، وبدونها تكون علاقتها مدنسة في نظر الشريعة ، ومكانتها محتقرة لدى المجتمع ، مهما وصلت في علومها وثقافتها الى اسمى مركز ...

انها تريد ان تكون امرأة محفوظة الكرامة ، والضمان مكفول بينها وبين من احبته ووهبته قلبها ، لا الضمان المعنوي الذي توفره العاطفة الصادقة ، بل كذلك الضمان المادي .. تلك الوثيقة التي هي لا شيء في نظر القلب والحب الصحيح ، والتي هي كل شيء في نظر اهلها : والناس ونظرها هي ايضا ...

هل يريد فائز ان يبقيا هكذا زميلين متآلفين في الظاهر ، وحبيبين متفاهمين متوادين في الخفاء ، ويخشى ان هما اثبتا علاقتهما بالزواج ليعيشا تحت سقف واحد ، وتقاسما جميع شؤون الحياة كبيرها وصغيرها عظيمها وحقيرها كالازواج العاديين ، ان يتزعزع ذلك التفاهم الرائع الذي يسود سماء حياتهما ، وان يتعكر ذلك الصفاء البديع الذي يرتشفان من معينه كل يوم ، ويعتريهما الفتور والملل ، وتؤثر على حبهما متطلبات الحياة المادية التافهة ؟؟

في مقدوره هو ان يعيش هانئا مرتاحا متمتعا بما تسبغه عليه من عطف وحب كبيرين كلما هفا الى لقائها ، ولكنها هي لم تعد تكتفي بذلك الحب ــ المخفي ــ والعاطفة المحجبه ، والمقابلات السريه ليتبادلا كأس الغرام المترع جوى وهياما ... بل تتوق الى تلك الوثيقة ، حتى تعيش معه ليلا نهارا ، من غير جزع ولا خشية وتجاهر بحبها له حتى للحيوان ، وهذا لن يتيسر لها الا بالوثيقة .. وثيقة الزواج التي يتحصل عليها اقل الناس بدون عياء ولا نصب .. اما هي ؟.. تنسى الوثيقة في بعض الاحيان ، حين تتقابل معه ، وحين تكون بجانبه مسلمة له كل ما لديها من سحر انثوي .. ولكنها لا تكاد تفيق من نشوتها ، حتى تتبه وساوسها ، وتصبح كلها كتلة كهربائية مرتعشة ، في انتظار تلك الجملة الرائعة ، التي تحيرها وتستفزها وتثير همومها وافكارها..

عزمت اليوم ان تعرض نفسها للزواج ، وان يكن هذا يخالف العرف .. كان عليه هو ان يبدأ من زمن بعيد .. كان عليه ان لا يبتعد عن ذلك الطريق السوي الذي يتبعه الناس جميعا ، ولكنه هو حاد عنه ، واجبرها على اتباعه ليسيرا في طريق منعزل منفردين ...

اما هي .. فلم تعد ترضى ان يبقى ــ فائز ــ مخالفا غيره .. تريد منه ان يكون كالناس ..

تريد ان تضع يدها في يده ليتبعا نفس الطريق ...

اليوم ستضع حدا لكل هذا .. واذا لم يشأ ان يفهم ، فستدعه وحده مهما تكن التكاليف ، ومهما أصابها من الم وكرب شديد ...

لا .. لا يمكن ان يبقيا هكذا ، في طريق مقفر بعيد ، عليه ان ينصاع ، وان يبدل وجهة سيره ، ليمشي بجانبها في طريق الناس اجمعين ...

قفز قلبها بين ضلوعها بعنف .. ها هو ــ فائز ــ بقامته المديدة ، وابتسامته الحلوة ، يهبط من سيارته ، ويسرع الخطى اليها .. انه لم يتاخر عن الموعد .. هي التي تسبقه دائما ببضع دقائق ..

وحين ركبت بجانبه في السيارة ، وطوقها بذراعيه بعد ان رمى نظرة ليتأكد من خلو الشارع ، ويطبق.. علمت انها لن تكون البادئة ابدا .. وستبقى دائما في انتظار تلك الجملة، ولن يمكنها ان تفارقه ... وان لم يقلها البتة .. انها له ، كما يريد هو .. وليس كما تريد هي ...

انها له ، وطوع ارادته .. فلتتعذب ساعات طويلة في سبيل اويقات قصيرة تقضيها معه .. دقائق لذة ترضى ان تدفع فيها غالي الثمن ، وان يكن هذا الثمن من كرامتها وكبريائها ومن كل خلية من خلايا جسمها وعقلها اللذين اصبحا ملكه ...

ناجية ثامر — **باردو ــ تونس**

امـــــــي

اسمى طوبـي

الرابية ـ لبنـان

في اعالي التـل
في الصمت المهيب
يرقد القلب الذي
اعطـى واعطـى
ثـم اغفـى
ذلك القلب الحبيب

في اعالي التـل
صعـدت اليـك
وغبـار الـدرب
غطـى قدمـي
اثقلتني حادثات الدهر
يـا امـي
اهاضت جانحي
فحملت الدمـع والالام
القيهـا لديـك

في اعالي التل لا احمل وردا
كنقائـك
قد زرعت العشب كي
يخضر صيفا وشتاء
كعطائـك

خفت ان انسى ادوس الترب
يـا امـاه في ذاك المصلى
شئت ان يهتف بي العشب
اذا انسيت
قف .. واخلع حذاءك
وانحـن ..
قد قدس الترب هنا
قدسه اعظم حب

في اعالي التل يا اماه
اجثـو
نافثا آلام قلبي
فاهيبي بي .. انا
يـا حب ايامي
ويـا بهجة حبي
ها هنا .. ما فرق الموت
سوى اجسادنا
والروح تهدي



محمد العدناني



معجم الاخطاء الشائعة

بقلم محمد العدناني

***

لما يصل الى الان

ويقولون : لما يصل (بتسكين اللام) فلان الى الان . والصواب : لما يصل (بتسكين اللام) فلان بعد (بفتح فسكون فضم) ، او : لما يصل فلان . قال المنيجي شاعر « اليتيمة » :

فكانها وسنى اذا نظرت   او مدنف لما يفق بعد

فيجب حذف (الى الان) ، لان منفي (لما) مستمر النفي الى الحال ، كقول الشاعر :

فان اك ماكولا ، فكن انت آكلي   والا فادركني ولما امزق

يريد الشاعر انه لم يمزق في الماضي ، ولا في الزمن الحالي .

ويقولون ايضا : لما يرجع فلان ، ثم رجع الان . وهذا خطأ ، لان معنى هذه الجملة ، ان فلانا لم يرجع في الماضي ولا في الحال ، ثم رجع الان . وهذا تناقض ظاهر . والصواب : لم يرجع فلان ، ثم رجع الان ، لان (لما) تنفي المعنى في الزمن الماضي ، وفي الزمن الحاضر ايضا .

نموذجات من حرف الميم

ماء صافية

ويقولون : هذه الماء صافية . والصواب : هذه المياه صافية ، او هذا الماء صاف ، لان (الماء) مذكر ، او : هذه الامواه صافية ، لان همزة الماء منقلبة عن هاء .

اما تصغير الماء فهو : مويه (بضم ففتح فسكون)

واضاف المصباح جمعا ثالثا ، هو : امواء (بالهمز على لفظ الواحد) .

مائة

ويصرون على كتابة (مائة) بالالف بعد الميم المكسورة للتفريق بينها وبين (منه) ، وذلك قبل ان يامر الحجاج بن يوسف نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر العدواني بنقط الحروف العربية ، قبل توزيع القرآن الكريم على الامصار .

وعندما ظهرت مدرستا الكوفيين والبصريين الى الوجود ، أصر البصريون على ابقاء الف (مائة) ، بينما رأى الكوفيون حذفها . وحجتهم في ذلك سهولة التفريق بين (مئة) و (منه) ، بعد ان وضع ابو الاسود الدؤلي الضوابط (الحركات والشكل) للحروف العربية ، وبعد ان نقطها نصر ويحيى .

وانا ارى رأي الكوفيين للاسباب الآتية :

اولا ـ ظهور جميع المخطوطات والمطبوعات منقوطة ، وهذا هو رأي الكوفيين ذاته .

ثانيا ـ سمح ل (فئة) و (فيه) ان تبقيا على حالهما قبل الدؤلي ونصر ويحيى وبعدهم . فلماذا يمكن ان نخطىء في قراءة (مئة) قبل التنقيط ، ولا يمكن ان نخطىء في قراءة (فئة) ؟

ثالثا ـ أنا لا احب الشذوذ في اللغة ، ما دامت هنالك قاعدة تحول بين الكلمة وشذوذها عن القاعدة .

رابعا ـ ليس في اللغة العربية كلها ألف قبلها حرف صحيح مكسور ، لاستحالة النطق بالالف بعد كسرة .

خامسا ـ يسمح بعضهم بكتابة (خمسمئة) مثلا ، دون ألف فلماذا لا نكتب ال (مئة) دائما دون ألف ، سواء أكانت مفردة او مضافا اليها .

سادسا : يجمعون (١٠٠) على مئين ومئات ، فلماذا اتفقوا جميعا على كتابة هاتين الكلمتين دون الف زائدة بعد الميم المكسورة ؟

سابعا ـ أجاز المجمع اللغوي القاهري كتابة كلمة (مئة) ومركباتها، بغير الالف التي زادها القدماء بعد الميم في كتاباتهم ، وظلت مزيدة حتى يومنا هذا . وكذلك أجاز فصل الاعداد (ثلاثة وتسعة وما بينهما) عن (مئة) ، مراعيا في هذا نوعا من التيسير الاملائي (راجع العدد الذي اصدره المجمع) ، بعنوان : « البحوث والمحاضرات » ، مؤتمر الدورة التاسعة والعشرين (من سنة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) .

هذه الاسباب السبعة ـ الوجيهة حسب ظني ـ تظهر لنا ان المنطق يفرض علينا ان نجرد ال (مائة) من الالف ، ابعادا للشذوذ عن قواعد الاملاء ، واختصارا لوقت الكاتب ، ونزولا عند حكم العقل .

اما الادباء الذين يتشبثون بكتابة ال (مائة) بالالف ، لانها كتبت بها في القرآن الكريم ، فانني الفت انظارهم الى الحجج الآتية :

أ ـ كتب زيد بن ثابت نسخة واحدة من القرآن الكريم على صحف ، اودعت عند ابي بكر ، ثم عمر ، ثم حفصة بنت عمر وزوج النبي ، في عهد عثمان ، الذي امر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، بنسخ تلك الصحف في مصحف واحد ، ففعلوا ، وكانت الحروف دون نقط ، ودون حركات وشكل .

وقد عذرنا اولئك الكتاب على كتابتهم (مائة) بالالف ، لكي يفرقوا بينها وبين (منه) . وعندما نقطت الحروف ، وضبطت بالشكل والحركات ، بعد فترة طويلة من الزمن ، أبقي رسم حروف القرآن وكلماته كما كانت عليه دون مبرر ديني او لغوي لذلك .

ب ـ اوحيت آيات القرآن الكريم الى قلب النبي العظيم ملفوظة

غير مكتوبة .

ج ــ كان النبي أميا ، ولم يكتبه بخطه ، لكي نحافظ على رسم كلماته اجلالا له .

د ــ لم يكن أصحاب رسول الله الاربعة ، الذين كتبوا القرآن في خلافة عثمان ، معصومين عن الخطأ في الاملاء ، فالعصمة لله وحده .

فبعد هذه الحجج الاربع الدامغة ، انصح بحذف الالف من العدد (مئة) ، وبفصل الاعداد من ثلاثة الى تسعة عن المئة .

المــاس

ويخطئون من يقول : الماس ، ويقولون : ان الصواب هو (الالماس) ،

١ ــ لانه قبل ادخال (أل) التعريف عليه ، كان ألماسا ، وليس ماسا . وهو معرب (اذماس) اليونانية ، وعند تعريبه قلبت الذال لامـا .

٢ ــ لان ابن الاثير قال : أظن الهمزة واللام فيه اصليتين ، مثلهما في الياس .

٣ ــ لان الشيخ نصرا الهوريني قال في حاشية القاموس المحيط : الالف واللام في كلمة (ألماس) من بنية الكلمة كالية (بفتح فسكون) .

٤ ــ لان « المعجم الوسيط » وضع هذه الكلمة في (ألم) ، وقال: الالمـاس .

٥ ــ لان صاحب « متن اللغة » يضع هذه الكلمة في (ألـم) وفي (ماس) ، ويقول : ولا يقال (الماس) بقطع الهمزة ، فالالف والـلام فيه اصليتان ، ونزع الالف واللام منه من تعارف العامة .

والذي افهمه انا من قول صاحب « متن اللغة » : (ولا يقـال ــ الماس ــ بقطع الهمزة ــ ، ان الالف واللام فيـه ليستا اصليتين ، وقد فات صاحبنا ان الهمزة في (ال) التعريف هـي همـزة وصل ، وليست همزة قطع .

اما صاحب « شفاء الغليل » ، فيقول عن (ماس) : انه بتمامه كلمة غير عربية ، ولم يرد في كلام العربية القديم ، وعربيته : سامور.

ويقول عنه « متن اللغة » : « السامور او الشامور : حجـر الالماس معرب » . ويضع اللسان هذه الكلمة في (ماس) ، والتـاج يضعها في (ماس) ، ولا يضعها كلاهما في (ألم) .

وعندما يشرح اللسان كلمة (ماس) يقـول : (الماس) حجـر معروف ، ولم يقل (الالماس) ، ولكنه يورد بعد ذلك قول ابن الاثير الذي يظن ان الالف واللام فيه اصليتان . وحين يشرح صاحب اللسان نفسه كلمة شمور (بفتح فتضعيف) ، يقول : وأراه (الالماس) ولـم يقل (الماس) .

أما التاج فعندما يشرح كلمة (ماس) يقـول : (الماس) حجـر متقوم (أي ذو قيمة) ، ولم يقل (الالماس) ، ثـم يقول : ولا تقـل (ألماس) أي بقطع الهمزة ، فانه من لحن العامة . ثم يورد قول ابـن الاثير . ويقول التاج بعد ذلك في شرح كلمة شمور (كتنور) : لم اسمع فيه شيئا اعتمده ، وأراه (الماس) ولم يقل (الالماس) .

ان هذا التباين في آراء عمالقة المعاجم يجيز لنا ان نقول : هذا الماس ممتاز ، او : هذا الالماس ممتاز . وبذلك ننجو مـن البلبلة ، ونزيح عنا واحدا من الشكوك الكثيرة ، التي تحملها الينا معاجمنا في ثنايا سطورها .

تماثـل المريض للشفاء

ويقولون : تماثل المريض للشفاء . والصواب : تماثـل المريض ، او : تماثل من مرضه ، لان معنى الفعل (تماثل) : قارب البـرء ، وصار أشبه بالصحيح . والبرء هو : الشفاء نفسه .

امتثـل للامـر

ويقولون : امتثل للامر . والصواب : امتثل الامر (بفتح الراء) ، أي : احتذى حذوه ، وسلك طريقته . ومن معاني الفعل (امتثل) :

١ ــ امتثل القوم (بفتح الميم) : ضربهم مثلا .
٢ ــ امتثل أمره : أطاعه .
٣ ــ امتثله غرضا : نصبه هدفا للسهام .
٤ ــ امتثل منه : اقتص .
٥ ــ امتثله : تصوره .

الامثـال العربيـة

المثل هو : جملة مقتطعة من القول ، او مرسلة بذاتها ، تنقل عمـا وردت فيه الى مشابهه . وقد اجمع أئمة اللغة على وجوب ضرب الامثال كما تفوه بها الذين قالوها اول مرة . فاذا أخطـأ أحدهم في قاعـدة نحوية ، علينا ان نخطىء مثله ، فنضرب المثل المشهور : مكره أخـاك لا بطل . برفع (أخاك) بالالف ، مع ان الاسماء الخمسة لا ترفـع الا بالواو ، اذا كانت غير مضافة الى ياء المتكلم .

وانا اقترح ان لا نتقيد بما تفوه به ذلك البدوي الامي ، ونقول : « مكره أخوك لا بطل » .

وقد أراد قائل هذا المثل ان المخاطب محمول على ذلك ، وان ليس في طبعه شجاعة . ويضرب هذا المثل لمن يحمل على ما ليس من شانه.

وهنالك مثل آخر ، هو :

في الصيف ضيعت (بكسر التاء) اللبن .

ويرويه آخرون : الصيف (بفتح الفاء) ضيعت (بكسر التـاء) اللبـن .

ويحتمون علينا نصب كلمة (الصيف) ، وتحريك التاء في (ضيعت) بالكسر في جميع الاحوال ، سواء أخاطبنا المذكر ، ام المؤنث ، ام الجمع، أم المثنى ، لان عمرو بن عدس الأمي ، قالها لمطلقته ، ففرض علينا ان نقول لجيش عرمرم من الرجال ، دهمهم العدو ليلا ، فهزمهم :

الصيف (بفتح الفاء) ضيعت (بكسر التاء) اللبن .

وانا ارى ان نقول لافراد الجيش المنهزم :

في الصيف ضيعتم اللبن .

وقس على هذين المثلين بقية الامثال التي اخطأ قائلوها عندمـا تفوهوا بها .

وهذا المثل يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه . وأصلـه ان دختنوس بنت لقيط كانت زوجا لعمرو بن عدس ، وكان شيخـا هما . فابغضته فطلقها ، وتزوجها فتى جميل . وعندما اجدبت احدى السنين ، بعثت دختنوس الى عمرو تطلب منه حلوبة ، فقال المثل :

الصيف ضيعت اللبن .

ملاحظة : حكى ابن الانباري في الزاهر عن الفراء : الصيف ضيعت (بفتح التاء) اللبن . ولم يحكه بفتح التاء سواه .

المـد

ويقولون : اشترى مدا (بكسر فتضعيف) مـن القمح . والصواب : اشترى مدا (بضم فتضعيف) من القمح .

والمد مكيال معروف . جمعه : أمداد ، ومدد (بكسر ففتـح) ، ومداد (بكسر الميم) ، ومددة (بكسر ففتح) ، ومدد (بضم ففتح)

صيدا ــ لبنان — محمد العدناني

ابراهيم هاشم ـ ليفون ملكيان

اسعد الشقيري ـ هشام شرابي

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ــ ابراهيم هاشم

ولد « ابراهيم » في مدينة نابلس بفلسطين عام ١٨٨٦ وبعد ان اتم دراسته الاعدادية سافر الى الاستانة عام ١٩٠٤ ودخل كلية الحقوق بجامعة استانبول وامضى فيها اربع سنوات واشتهر بين اقرانه بالذكاء وتوقد الخاطر ، ونال الشهادة بامتياز . واول وظيفة شغلها مدعي عام بيروت ومنها نقل مدعيا عاما ليافا ، وربطت بينه وبين رجالات هذا الثغر صداقات وطيدة لما اشتهر به من دماثة خلق ونزاهة ومعاملة الناس باللين والحسنى .

وفي سنة ١٩١٥ اخذ من سلك القضاء كضابط احتياطي والتحق بالخدمة العسكرية في دمشق ، وعرف بانتمائه الى جمعية « العربية (١) الفتاة » التي كانت تهيء للثورة العربية ضد الاتراك ، وكان اغلب اعضاء « العربية الفتاة » يعملون للقيام باعمال معينة ، فهيأوا للضابط ابراهيم هاشم الهرب من دمشق للالتحاق باحد المراكز البعيدة عن السلطة التركية ، فقصد جبل الدروز مع رفيقه المرحوم توفيق البساط فكتبت له النجاة بعد هربه الى نابلس وظل مختبئا فيها الى ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ، اما رفيقه البساط فقد القي القبض عليه واعدم مع الشهداء العرب الذين اعدمهم السفاح عام ١٩١٥ .

وبعد زوال الحكم التركي من سوريا الطبيعية دخل الامير فيصل بن الحسين دمشق وأسس فيها حكما عربيا فجاء « ابراهيم » الى دمشق ودخل في خدمة الحكومة العربية الفتية رئيسا لمحكمة الجنايات واستاذا للعلوم الجزائية في كلية الحقوق بالجامعة السورية .

ونتيجة لمعركة ميسلون التي نشبت بين الجيش العربي والجيش الفرنسي ، خرج اغلب الزعماء العرب من دمشق ، وظل « ابراهيم » فترة من الوقت يزاول عمله القضائي فيها .

وبعد ان قدم المرحوم مظهر رسلان استقالته من حكومة الشرق العربي ، استدعي المرحوم علي رضا الركابي وعهد اليه بتاليف حكومة جديدة ، وفي ١٠ ــ ٣ ــ ١٩٢٢ فرغ من تاليفها واستدعى من دمشق صديقيه ابراهيم هاشم والشيخ سعيد الكرمي ، العاملين معه في « العربية الفتاة » وعين الاول مستشارا للعدلية (وزيرا بلغة اليوم) وعضوا في مجلس المستشارين ، وعين الثاني قاضيا للقضاة وعضوا في مجلس المستشارين .

وفي شتاء ١٩٢٣ قدم الركابي استقالته فعهد الى مظهر رسلان بتاليف الحكومة ، فدخلها « ابراهيم » مستشارا قضائيا .

وفي الخامس من ايلول ١٩٢٣ عهد الى المرحوم حسن خالد ابي الهدى الصيادي بتاليف حكومة جديدة تخلف حكومة مظهر رسلان فعين ابراهيم هاشم ناظرا للعدلية .

وفي الثالث من ايار ١٩٢٤ عهد الى المرحوم علي رضا الركابي بتاليف حكومة تخلف حكومة حسن خالد فاختير ابراهيم هاشم ناظرا للعدلية .

وفي اعقاب سنة ١٩٢٦ ظهرت في عمان عاصمة الاردن جمعية ارهابية باسم « الكف الاسود » ووزعت نشرات سياسية تحرض على القيام بالثورة ووجهت رسائل شخصية لنفر من رجال الدولة ، تنطوي على التهديد والوعيد ، فالفت حكومة ابي الهدى لجنة للتحقيق برئاسة المرحوم ابراهيم هاشم ، فحقق مع المتهمين والموقوفين ، وقرر اخلاء سبيل كل منهم .

وفي السابع عشر من تشرين الاول ١٩٢٩ اعاد حسن خالد ابو الهدى تشكيل الحكومة وعين ابراهيم هاشم وزيرا للعدلية وقاضيا للقضاة .

وفي الثامن عشر من تشرين الاول ١٩٣٣ اقيل الشيخ عبد الله سراج من رئاسة الوزراء وعهد الى ابراهيم هاشم بتاليف الحكومة الجديدة فاختار لنفسه رئاسة الوزراء ووزارة العدلية ووظيفة قاضي القضاة .

وفي صيف عام ١٩٣٤ عهد الى المرحوم هاشم بتمثيل امير البلاد في تعديل المعاهدة الاردنية ــ البريطانية المبرمة في ٢٠ شباط ١٩٢٨ ، وقد تم التوقيع على هذا التعديل في ٢٢ ــ ٦ ــ ١٩٣٥ .

وفي عهد حكمه كوزير للعدلية شجع على اصدار «المجلة القضائية»، وقد صدر العدد الاول منها في تشرين الثاني ١٩٣٥ ونشر فيها مقالات قضائية تتسم بالعمق والموضوعية .

وخلال اعتزاله الحكم زاول المحاماة في عمان العاصمة الاردنية وكان لاستشاراته وآرائه قيمتها في المحافل القضائية .

وفي الثامن عشر من ايار ١٩٤٥ خلف المرحوم ابراهيم هاشم المرحوم سمير الرفاعي في الحكم ، والف وزارته الثانية وكان فيها رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع .

وتقديرا لموقف الولاء الذي وقفه الاردن اميرا وحكومة في الحرب العالمية الثانية من بريطانيا والمجهود الحربي ، قدمت الحكومة الاردنية مذكرة للحكومة البريطانية طلبت فيها الدخول في مفاوضات لاعلان استقلال الاردن .

وعلى ضوء هذه المذكرة الاردنية دعت الحكومة البريطانية الامير عبد الله بن الحسين ورئيس وزرائه المرحوم ابراهيم هاشم لزيارة لندن . وفي السادس عشر من كانون الثاني ١٩٤٦ ابلغ اللورد غورت ــ المندوب السامي لفلسطين عهد ذاك ــ الامير عبد الله تصريح بيفن وزير خارجية بريطانيا ، الذي ادلى في اجتماع هيئة الامم المتحدة المنعقد في لندن وفحواه : « اعتراف الحكومة البريطانية بتطور شرقي الاردن تطورا جعلها اهلا للاستقلال التام ورفع الانتداب عنها ، وان حكومة جلالته ستتخذ الخطوات السريعة للاعتراف بشرقي الاردن دولة مستقلة ذات سيادة » .

وفي العشرين من شباط ١٩٤٦ قام الامير عبد الله مصحوبا برئيس وزرائه ابراهيم هاشم ، بزيارة لندن زيارة رسمية واجريا مع المسؤولين البريطانيين مفاوضات اسفرت عن :

أ ــ الغاء الانتداب البريطاني عن شرقي الاردن والاعتراف

١ ــ اعظم الجمعيات العربية السرية التي نشأت بعد اعلان الدستور ، أسسها في باريس ثلاثة من الطلاب العرب الذين قصدوها بعدما اتموا دروسهم في الاستانة وهم : الدكتور احمد قدري وعوني عبد الهادي ورستم حيدر ثم انضم اليهم رفيق التميمي ومحمد المحمصاني وعبد الغني العريسي وجميل مردم بك . وقد اكتفوا باطلاق اسم « الفتاة » عليها في اول الامر لئلا يلفتوا النظر وارادوا ان تكون للعرب بمثابة « جمعية الاتحاد والترقي » للترك .

باستقلالها .

ب ـ عقد معاهدة صداقة وتحالف بين الحكومتين .

وقد وقع على هذه الاتفاقية (٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٤٦) ابراهيم هاشم عن شرقي الاردن ، وارنست بيفن وزير الخارجية البريطانية وآرثر كريتش جونز الوكيل البرلماني لوزير المستعمرات عن بريطانيا .

وبعد عودة الامير عبد الله وابراهيم هاشم رئيس الوزراء من لندن الى عمان قرر المجلس التشريعي الاردني (في ٢٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٦) ما يلي :

اولا ـ اعلان البلاد الاردنية دولة مستقلة استقلالا تاما وذات حكومة ملكية وراثية نيابية .

ثانيا ـ البيعة بالملك لسيد البلاد ومؤسس كيانها وريث النهضة العربية عبد الله بن الحسين بوصفه ملكا دستوريا على رأس الدولة الاردنية بلقب « حضرة صاحب الجلالة : ملك المملكة الاردنية الهاشمية » .

ثالثا ـ اقرار تعديل القانون الاساسي الاردني على هذا الاساس طبقا لما هو مثبت في لائحة (قانون تعديل القانون الاساسي) الملحقة بهذا القرار .

رابعا ـ رفع هذا القرار الى سيد البلاد عملا باحكام القانون الاساسي ليوشح بالارادة السنية .

ونتيجة للتعديلات التي طرأت على الحياة السياسية في الاردن من : ابرام المعاهدة الاردنية البريطانية الى وضع دستور جديد ، قدم المرحوم ابراهيم هاشم استقالة حكومته في ٤ ـ ٢ ـ ١٩٤٧ وعهد الملك عبد الله بن الحسين للمرحوم سمير الرفاعي بتأليف حكومة جديدة .

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية المروعة (١٩٤٨) عين الملك عبد الله المرحوم ابراهيم هاشم حاكما عسكريا عاما في الضفة الغربية . وسرعان ما ترك عمله العسكري هذا واشرف مع نفر من زملائه على توحيد القوانين والانظمة المعمول بها في ضفتي الاردن ، فانجز المهمة الصعبة على احسن وجه .

وعقب استقالة المرحوم هزاع المجالي من رئاسة الوزراء عهد الملك حسين بن طلال للمرحوم ابراهيم هاشم بتأليف وزارة انتقالية مهمتها اجراء انتخابات نيابية جديدة ، وفي ٢١ كانون الاول ١٩٥٥ فرغ من تأليف الوزارة وكان فيها رئيسا للوزراء .

وعندما عهد الملك حسين بن طلال للمرحوم سمير الرفاعي بتأليف الوزارة فرغ من تأليفها في ٩ ـ ١ ـ ١٩٥٦ ودخلها المرحوم ابراهيم هاشم نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للدولة .

وبعد استقالة السيد سعيد المفتي عهد الملك حسين بن طلال للمرحوم ابراهيم هاشم بتأليف وزارة جديدة . وفي ١ ـ ٧ ـ ١٩٥٦ أتم تشكيلها وكان فيها رئيسا للوزراء .

وعلى اثر استقالة المرحوم الدكتور حسين فخري الخالدي رئيس الوزراء ووزير الدفاع في ٢٤ ـ ٤ ـ ١٩٥٧ عهد الملك حسين الى المرحوم ابراهيم هاشم بتأليف الوزارة فالفها وكان فيها رئيسها للوزراء ووزيرا للعدلية .

ونتيجة للاتفاق الذي تم بين الاسرة المالكة الهاشمية في العراق والاسرة المالكة الهاشمية في الاردن على قيام اتحاد عربي بين القطرين الشقيقين ، ألف المسؤولون العراقيون والاردنيون لجنتين للدخول في المباحثات ، وكان المرحوم ابراهيم هاشم احد المفاوضين الاردنيين . وفي ١٤ ـ ٢ ـ ١٩٥٨ تم التوقيع على ميثاق الاتحاد وفي ٢٢ ايار عين المرحوم ابراهيم هاشم عضوا في مجلس الاتحاد العربي .

ومع اطلالة الاول من تموز ١٩٥٨ تألفت وزارة حكومة الاتحاد العربي برئاسة نوري السعيد ، وعين ابراهيم هاشم نائبا لرئيس الوزراء والمرحوم سليمان طوقان وزيرا للدفاع والسيد خلوصي الخيري وزير دولة للشؤون الخارجية .

وفي العاشر من تموز ١٩٥٨ قصد الوزراء الاردنيون الثلاثة بغداد، مصحوبين بفنيين عسكريين ومدنيين ، لتنفيذ بنود ميثاق الاتحاد العربي ، كتوحيد الشؤون الخارجية والجيشين ، ونزلوا في فندق بغداد .

وفي صباح ١٥ ـ ٧ ـ ١٩٥٨ كان الوزراء الاردنيون يتأهبون للتوجه الى مطار بغداد لوداع الملك فيصل الثاني في طريقه الى تركيا واذ بالثورة تجتاح بغداد والقذائف تدك قصر الرحاب فغدا قاعا صفصفا ، وغدت الاسرة المالكة طعما لتلك الثورة المفاجئة .

وعلى حين غرة دخل الفندق نفر من رجال الجيش وحملوا الوزراء الاردنيين الثلاثة على الركوب في سيارتين انسابتا بهم الى دار الاذاعة ، وبعد خمس عشرة دقيقة من وصولهم الى الاذاعة اخرجوا منها ووضعوا في ناقلات للجنود مع عشرين شخصا آخرين ودرجت بهم الى وزارة الدفاع ببغداد والمظاهرات على قدم وساق في شوارع المدينة ، وامام رتاج وزارة الدفاع هاجم المتظاهرون الركاب واجهزوا على المرحوم ابراهيم هاشم والمرحوم سليمان طوقان ، ولم يعثر على جثتيهما ، وكتب الله النجاة للسيد خلوصي الخيري .

بعد هذا التفصيل يقتضينا الانصاف وقول الحق ان ننوه بكفاءات ابراهيم هاشم كرجل دولة من طراز عال ، وكبان من بناة هذا البلد وكفقيه ضليع من القوانين والانظمة .

والذين زاملوا ابراهيم هاشم في الحكم وعملوا معه في قطاعي القضاء والمحاماة يفاخرون به كسياسي محنك وكمسؤول واسع الصدر، بعيد النظر ، وكقانوني اشتهر بوعيه وسعة علمه واطلاعه .

وحسب ابراهيم هاشم ، وهو في دار الحق ، نظافة يده وسمعته العطرة في المراكز الحساسة التي شغلها في العهد العثماني والفيصلي والاردني ، فكان انسانا شريفا وسياسيا لبقا ، وفقيها ضليعا ومحاميا لامعا .

وحسبه ، بعد هذا كله ، المؤلفات القانونية التي خلفها تراثا بين ايدي القضاة والمحامين وطلاب الحقوق ومنها :

(١) الحقوق الجزائية ـ طبع سنة ١٩٢٠

(٢) القواعد الاساسية لاصول المحاكمات الجزائية ـ طبع سنة ١٩٢٢

(٣) شرح قانون الجزاء (في اربعة اجزاء) وقد طبعت على التوالي : الاول : سنة ١٩٢٤ ، الثاني والثالث : سنة ١٩٢٥ ، الرابع: سنة ١٩٢٦

(٤) شرح قانون حكام الصلح الموقت .

نموذج من نثره : « القانون هو ما تامر بـه السلطة التشريعية وتنهى عنه ، وينشر القانون وفقا للاصول ليعلم الناس به ، ويشترط في وضعه ان لا يكون مخلا بحقوق البشر الطبيعية ولا بالمصلحة العامة، وعلى ذلك يشترط في القانون :

١ ـ ان يكون صادرا عن مقام لـه بالصلاحية في وضع القوانين وعليه فالاوامر والنواهي التي تصدر عن غير هذا المقام لا تكون بمنزلة القانون .

وفي الجملة لا يلزم احد بالعمل بها . اما المقام الذي له الصلاحية في وضع القوانين فيختلف باختلاف انظمة البلاد . ففي الحكومات الدستورية يرجع هذا الحق الى السلطات التشريعية وفي الحكومات المطلقة يرجع الى حاكم البلاد ومن يساعده من المجالس واللجان .

٢ ـ ان ينشر وفقا لاصوله ليكون العمل به واجبا ، لان العدل يقضي بان لا يؤاخذ احد بعدم اطاعته لاوامر القانون ونواهيه الا اذا علم بها . او في الاقل اذا اعتبر القانون انه صار معلوما عند الجميع ، وعليه فلو ادعى احد الناس بعد نشر القانون واعلانه بانه لم يكن عالما بوجوده فلا يعذر لان سماع الدعوى بعدم العلم بالقانون يستلزم قبول اثبات العلم به وذلك متعذر ويدعو لتعطيل العمل به ولذلك فقد اعتبر نشر القانون قرينة قاطعة على علم الناس باحكامه والنشر يكون بواسطة

الصحف الرسمية او غيرها من الصحف المحلية وعن طريق الاعلانات او بالقراءة للعامة وهو تابع للاصول المقررة للنشر بمقتضى انظمة البلاد .

٣ ـ ان لا يخرج في موضوعه عن الامر والنهي كالاحكام القانونية القاضية بمنع حمل السلاح فانها موضوعة للنهي عن عمل شيء والاحكام القانونية القاضية بوضع مصباح ليلا على الاخاديد ومجاري المياه المحفورة في ممرات الناس والمتروكة بلا غطاء فانها موضوعة للامر بعمل شيء .

٤ ـ ان لا يكون مخلا بحقوق البشر الطبيعية ، لان غرض الناس من تاليف الهيئات الاجتماعية هو المحافظة على حقوقهم الطبيعية ، فكل قانون خالف هذا الفرض لا يكون العمل به واجبا في نظرهم ويكون من حقهم مقاومته بالقوة ـ والحقوق الطبيعية هي كحق الانسان في الحرية والمساواة والدفاع عن النفس والعرض وتدارك اسباب المعيشة واختيار الحرفة التي يراها ملائمة له .

٥ ـ ان لا يكون مخلا بالمصلحة العامة وقد يطلق على المصلحة الفائدة الاجتماعية والمنفعة المشتركة وهي عبارة عما تحتاج اليه الهيئة الاجتماعية في استبقاء كيانها بسيطرة على الجميع فهذه الهيئة لا ينتظر منها ان تضع قوانين تضر بمصالحها الحيوية ويكون من شانها تفكيك عرى الروابط الاجتماعية وتقليص الثروة العمومية » .

٢ ـ الدكتور ليفون ملكيان

ولد « ليفون » في مدينة القدس عام ١٩١٧ وانهى دراسته الابتدائية والثانوية في مدرسة المطران بالقدس عام ١٩٣٥ وعمل في جمعية الشبان المسيحية بالقدس (١٩٣٦ ـ ١٩٤٥) ، وفي خريف عام ١٩٤٥ قصد الولايات المتحدة والتحق بكلية جورج ليامس ونال بكلوريوس في الاجتماع وعلم النفس عام ١٩٤٨ ودخل جامعة كولومبيا ونال شهادة ماجستير في علم النفس عام ١٩٤٩ ثم عاد الى الجامعة الامريكية في بيروت استاذا لعلم النفس وفي عام ١٩٥٣ رجع الى الولايات المتحدة ودرس في جامعة كولومبيا وحصل على الدكتوراه عام ١٩٥٥ وكان موضوع الاطروحة التي قدمها « بعض التغيرات المرتبطة بالتسلطية في مجموعتي حضارتين » ، وفي خريف عام ١٩٥٥ عاد الى الجامعة الامريكية في بيروت وعين استاذا لعلم النفس ومستشارا لمشاكل الطلاب نفسيا . وفي عام ١٩٦٠ عاد الى الولايات المتحدة وعين استاذا زائرا في جامعة برنستون وقام ببحوث علمية .

وفي عام ١٩٦٧ زار المملكة العربية السعودية كاستاذ زائر في كلية المعادن والبترول في الظهران ، ثم عاد الى الجامعة الامريكية في بيروت استاذا لعلم النفس .

من آثاره القلمية : اغلب ما نشره الدكتور ملكيان مقالات في علمي النفس والاجتماع ، ومن مقالاته التي وقفنا عليها في هذا المجال :

١ ـ التباعد الاجتماعي والتغير الحضاري في الشرق الاوسط .
٢ ـ التباعد الاجتماعي : دراسة علاقات البشر .
٣ ـ المواقف الاجتماعية للطلاب الجامعيين في الشرق الاوسط .
٤ ـ تعميم المواقف العرقية للطلاب في الشرق العربي .
٥ ـ المقياس الكلفورني للرأي العام في المجتمع التقليدي .
٦ ـ السلوك الجنسي للطلاب العرب في الشرق الاوسط .

نموذج من نثره : « على الرغم من اننا نعيش في عالم سريع التطور ، فقلما نجد العناية متجهة الى دراسة النتائج النفسية التي يسفر عنها التغير الاجتماعي . وسواء اكان تغير ما ، هدفا بذاته لتخطيط معين ، ام نتيجة لاحقة له غير مقصودة ، فالتغير خليق في الحالين ، ان يتبدى في حياة الافراد وفي علاقاتهم بعضهم بالبعض الآخر .

وقد تجلت قيمة هذا الموضوع ، وما له من شان خطير ، في عدد من « مجلة القضايا الاجتماعية » صدر سنة ١٩٦١ وخصص لدراسته.

ففي مقدمة هذا العدد ناشد آدلسون العلماء ان يوسعوا نطاق البحث في هذا الميدان ، وحثهم على بذل مجهوداتهم ، بصرف النظر عن قلة ما بين ايديهم من الطرائق والنماذج الدراسية الصائبة التي لا يتطرق اليها الخطا . وقد كان بين المقترحات التي حرص على ذكرها ، تكرار الدراسات النفسية السابقة التي تعنى بتفهم الشخصية والمواقف النفسية التي تتخذها الجماعات ، والتوسل بما تسفر عنه من المعلومات ، والاستعانة بدراسات التغير الطارىء على فترة طويلة من الزمان . ومع ان هذه الطرائق ليست مثالية ، فانها خليقة ان تعطينا فكرة ما ، عن المواقف النفسية ونواحي الشخصية ، التي تكون عرضة للتغير ، وهذا بدوره يسدي يدا الى تطوير النماذج الدراسية وتحسين اساليب البحث حتى تصير ادنى الى الدقة .

وقد وضعت هذا المقال ، مجاراة لما اقترحه آدلسون ، وهو تقرير عن احدى دراستين اعدتهما بعد مرور عشر سنوات ، وذلك في منطقة من الارض حصل فيها تغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية كبيرة .

اما المنطقة التي شملتها هذه الدراسة ، فهي الشرق الاوسط العربي ، في الفترة بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ والفترة بين ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ ، واما المواقف النفسية التي كانت موضوعها فهي : البعد الاجتماعي كما يقاس بطريقة بوغاردس .

وقد تولى هذه الدراسة ، الدكتور اي. تري بروثرو ، احد اساتذة علم النفس في الجامعة الامريكية في بيروت ، وكاتب هذا المقال ، واجرياها معا في ١٩٥٢ على الطلاب العرب في الجامعة الامريكية في بيروت ، ثم توليت تكرارها سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ في الجامعة نفسها وعلى طوائف من الطلاب العرب ، لا يختلفون في مواطنهم ولغتهم ـ العربية ـ وسائر اوصافهم بوجه عام ، عن الفئة الاولى . وفي الصفحات التالية نتائج دراسة « البعد الاجتماعي » هذه .

٢ ـ ينبسط اصطلاح « الشرق الاوسط » في هذه الدراسة على البلاد العربية فيه ، وهي تشمل الاردن ، وسوريا ، والعراق ، والعربية السعودية ، ولبنان ، ومصر « الجمهورية العربية المتحدة » وامارات الخليج ، اي البلاد التي وفد منها طلاب الجامعة الذين شملتهم هذه الدراسة .

وقد شهد الشرق الاوسط ، خلال الفترة بين الدراستين (١٩٥٢ ـ ١٩٦٢) تغييرات عميقة انبثقت منها ضروب جديدة من الاشكال والقوالب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ولما كان المجتمع لم يبلغ بعد مرحلة الاستقرار ، فان هذه الاشكال لا بد ان تمضي في طريق التغير ، والمرء ان يقرر ان نهج الحياة في هذه البلاد قد تغير ، وان « المجتمع التقليدي في طريقه الى الزوال » وان المجتمع الجديد لا يزال في طريق التكوين ، ولكنه يشتمل ، فيما يتراءى للزعماء و « الاحزاب السياسية » واهل الفكر والثقافة ، على ناحية من نواحي الوحدة بين البلاد العربية ، والانتفاع الكامل بالموارد الاقتصادية في المنطقة ، انتفاعا يعود بالخير في اوساط الناس ولا يقتصر على المميزين منهم ، اي ان يصير مجتمعا ديموقراطيا ، وامة حديثة قوية تلعب دورا كبيرا في العالم . ويبدو ان تحقيق هدف عظيم كهذا الهدف ليس بالامر الميسر .

واما الدول الكبيرة التي تكثر مصالحها المنوعة في المنطقة ، فخليقة ان لا تقف موقف المتفرج عما يدور فيه . واذن فوضع يتصف بهذه الاوصاف ، هو وضع يغلب ان تتتابه ازمات متوالية وتوتر مستمر ، ونحن نرى ان هذه الاحوال ستحدث تغييرا في مواقف الناس وسلوكهم. فالهدف في هذه الدراسة ان نفحص طبيعة هذا التغيير في ناحية محدودة من مواقف الناس الشخصية والاجتماعية » .

٣ ـ الشيخ أسعد الشقيري

ولد الشيخ اسعد في مدينة عكا بفلسطين عام ١٨٦٠ واقبل على

مدرستها الابتدائية معولا على عصاميته وطموحه في دراساته الخاصة ، وحوالي عام ١٨٧٥ يمم مصر ودخل رواق الشوام بالازهر الشريف ، وواظب على حلقة السيد جمال الدين الافغاني وعلى حلقة الشيخ محمد عبده .

وبعد ان انهى دروسه في الازهر الشريف عاد الى عكا والتحق بالقضاء الشرعي وكان قاضي المحكمة الشرعية في شفا عمرو . وفي عام ١٩٠٤ عين الشيخ اسعد مستنطقا (قاضي تحقيق) في اللاذقية ، ومن طريف ما ذكره الاستاذ يوسف الحكيم في الجزء الاول من ذكرياته « سورية والعهد العثماني » بعنوان « براعة الشقيري » القصة التالية :

« من لطيف ما يذكر عن وجود شاعرين فحلين في اللاذقية ، احدهما شاكر شقير الاستاذ في المدرسة الارثذكسية ، والآخر اسعد خليل داغر في المدرسة الاميركية ، انه وقع في عهدهما خصام بين اسرتين وجيهتين من اجل غادة بارعة الجمال رفيعة التهذيب كثر خاطبوها . فانتصر احد الشاعرين لاحد الخاطبين والآخر لغيره ، وتهاجيا نثرا وشعرا تهاجيا مريرا ادى الى اقامة كل منهما دعوى القدح بحق الاخر . وبقيت الدعوى الموحدة زمنا رهن التحقيق ، وقد تبدل قضاته دون ان يبتوا فيها ، الى ان عين العلامة الشيخ اسعد الشقيري - وكان اسمه آنئذ اسعد شقير - قاضيا للتحقيق في اللاذقية ، وقد عرف بحدة الذكاء وحسن الادارة والاخلاص لواجبات الوظيفة ، فاستدعى اليه الشاعرين المتخاصمين وقال لهما :

« اني اخوكما في الشعر والادب وجامع لاسميكما فان اصلحت بينكما ، وهذا هو الموافق لمنزلة الادباء والشعراء ، ذهبتما بسلام واطمئنان ، والا احتجزتكما رهن التحقيق وهذا الذي يأسف له كل أديب » . وانتهى الامر بنزولهما عند ارادته ، فتعانقا واسقط كل منهما دعواه وعادا صديقين متحابين ، شاكرين للقاضي العاقل اللطيف جميل سعيه وحسن تدبيره » .

وفي عام ١٩٠٥ رحل الى الاستانة في عهد السلطان عبد الحميد وهناك تعرف على الشيخ ابي الهدى الصيادي (١) واخذ يتردد على زاويته ، وعن طريقه اصبح امينا من امناء مكتبة السلطان عبد الحميد ، وبعد فترة عين رئيسا لمحكمة الاستئناف الشرعية في مدينة ادنه وهناك تزوج سيدة تركية انجبت له الدكتور انور وعفوا وعبد العفو الشقيري ، واخذ يتردد على الاستانة وفيها تزوج سيدة تركية انجبت له الاستاذ احمد الشقيري الخطيب المفوه والسياسي الشهير . (٢)

ونتيجة لنشاطه السياسي ولصلته بزعماء الاصلاح امثال السيد عبد الحميد الزهراوي اوجس السلطان عبد الحميد وزبانيته خيفة منه فامروا باعتقاله وابعدوه الى قلعة تبنين (في منطقة صور بلبنان الجنوبي) وفيها ولد نجله الاستاذ احمد الشقيري .

وبعد اعلان الدستور العثماني (١٩٠٨) افرج عنه فعاد بعائلته الى عكا ورشح نفسه لمجلس المبعوثان العثماني ، وبعد ان خاض معركة الانتخاب كان النجاح حليفه فاصبح ممثل عكا في المجلس المذكور . وفي استانبول كانت صلاته برجال (حزب الاتحاد والترقي) امثال احمد جمال وانور وطلعت فانضم اليهم واصبح من اركان هذا الحزب .

وبعد اعلان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) عين الشيخ

١ - (١٨٤٩ - ١٩٠٩) شاعر عربي . ولد في بلدة خان شيخون (بمحافظة حلب) واتصل بالسلطان عبد الحميد وبلغ مرتبة عالية في بلاطه ، وكانت بينه وبين جمال الدين الافغاني خصومة ، ومات منفيا في جزيرة « برانكيبو » على اثر قيام ثورة عام (١٩٠٨) .

٢ - (١٨٥٥ - ١٩١٦) من زعماء العرب في سوريا واحد شهداء ديوان عاليه . ولد بحمص وناهض سياسة السلطان عبد الحميد قبل اعلان الدستور العثماني .

اسعد مفتيا للجيش العثماني وكان مركزه استانبول واصبح من اقرب المقربين للقائد العسكري احمد جمال .

ولما انسحب الجيش التركي من المعركة انسحب احمد جمال وهرب الى روسيا فقتله فدائي ارمني هناك ولجأ الشيخ اسعد الى مدينة ادنه واقام بضعة شهور لدى اهل زوجته ، ولما هدأت الامور السياسية امتطى باخرة من ادنه الى حيفا وما ان وطأت قدماه ارض الميناء حتى بادرت السلطات البريطانية الى اعتقاله بحكم صلاته الودية مع المسؤولين الاتراك وجاءت به الى معتقل ابي قير (من ضواحي مدينة الاسكندرية) وبقي فيه اربعة عشر شهرا ، وفي عام ١٩٢١ عاد الى عكا وبقي بضعة شهور يثبت وجوده لدى الحاكم العسكري البريطاني الى ان جاء الحكم المدني فاعاد اليه المسؤولون حريته وطفق يعمل في الحركة الوطنية وكان من قادة المعارضة وامضى بقية حياته في الوعظ والارشاد والكتابة في الصحف العربية .

وحوالي عام ١٩٣٦ أملى مذكراته على شقيقه المرحوم قاسم الشقيري ، وبعد وفاة الشيخ اسعد تسلمها نجله الاستاذ احمد الشقيري ليعيد النظر فيها ، ويضيف اليها ما تحسن اضافته ، لكن انصراف الاستاذ احمد الى العمل السياسي حال دون تنقيح مذكرات والده ، فظلت بين اوراقه الى ان دخل اليهود عكا عام ١٩٤٨ فنهبوا مكتبته وكانت هذه المذكرات في عداد ما نهبوه .

وفي يوم من ايام شهر شباط من عام ١٩٤٠ توفي الشيخ اسعد ودفن في مقبرة الشيخ مبارك بمدينة عكا .

نموذج من نثره : « تجلت قدرة الله تعالى بالابداع وهو ايجاد شيء بدون مادة ، وبالخلق وهو ايجاد شيء على شيء آخر ، وبالتمييز بين الاشياء وهو تخصيص كل جنس ونوع بخاصة لا توجد في غيره . واقتضت حكمته سبحانه تولد بني آدم باشكال اربعة :

(١) تولد آدم على تراب (٢) وحواء من ضلع آدم (٣) وسائر الناس من ماء مهين بين ذكر وانثى (٤) وكلمة الله وروح منه سيدنا عيسى من امه بدون مادة . وقد حارت العقول وضلت الافكار وحق لها ذلك في حكمة ايجاد الخلق والباعث له . ولما هم الباحثون بفتح هذا الباب المغلق هلك ثلاثة من ارباب النظر الاول من قال ان الوجود صدر على سبيل الاتفاق مصادفة بتأثير الطبيعة وهو يعلم انها قوة مبثية في الاشياء ، لا وجود لها في الحس والمشاهدة بل هي خالية من الشعور ، واين هي من هذا البناء المحكم والصنع المتقن . والثاني من قال ان الخلق من لوازم الوجود وان الحاجة ماسة اليه وهو يعلم ان الباري تعالى له الغنى المطلق ولو كان محتاجا لشيء لم يكن الها والثالث من قال ان الضرورة دعت لذلك الايجاد ، وهو يعلم ان المضطر مقهور والقاهر له فوقه ، واذا تقرر هذا فالحكمة الربانية مخزونة في خزانة الحديث القدسي الموحى به من رب العالمين وهو قوله جل جلاله : « كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني » ومن لوازم المعرفة آراء العبادة طبعا ، فهذه المحبة الالهية البارزة في هذا الحديث سرت في جميع المخلوقين فلا يوجد احد الا وهو محب ومغرم بالحياة والزوجة والولد والمال والمسكن والاثاث والرياش وحب الظهور وسائر المغريات . وهكذا يهتم في حب ما يلايمه من المطالب التي تتجدد وتتوالى عليه الى ما لا نهاية له . وما يقع في هذا الوجود من المنافرة والبغضاء فانما هو لعارض عدم الملائمة والمجانسة ، وكل واحد طباعه مفطور فيه على حب مطالبه وكماله فسبحان من جمع في المخلوق حب شيء وبغض آخر . ولا يجوز ان يفهم من هذا ان الله تقدس وتعالى تحيط العقول والافكار بكنه ذاته علما . فانها لا تصل الى ذلك بوجه من الوجوه ، وغاية ما تصل اليه ان تعلم يقينا بوجوده بلا كيف ولا تشبيه ولا تحديد ، مستندة الى مظاهره وآثاره الباهرة . فمن المعلوم بداهة ان البناء لا يقوم بدون بان ، والصنعة لا توجد بدون صانع ، والعقول معقولة عن العلم بكنه تلك الذات المقدسة ، فليس لها الا العجز والحيرة . ويحسن هنا ايراد

مكالمة رأيتها في بعض المجامع وخلاصتها ان رجلين من اهل الذكاء والفطنة قال احدهما للاخر : « ألك رب ؟ » قال : « نعم ! » قال : قال : « هل رأيته ؟ » قال : « لا ! » قال : « هل سمعت حديثه وكلامه ؟ » قال : « لا ! » قال : « هل ذقته ؟ » قال : « لا ! » قال : « هل شممت له رائحة ؟ » قال : « لا ! » قال : « هل لمسته ؟ » قال: « لا ! » قال : « فكيف تقول ان لك ربا ؟ » فانتبه واجابه : « ألك عقل ؟ » قال : « نعم » قال : « هل رأيته ؟ » قال : « لا » قال : « هل سمعت حديثه وكلامه ؟ « قال : « لا » قال : « هل ذقته ؟ » قال : « لا » قال : « هل شممت له رائحة ؟ » قال « لا » قال : « فكيف تقول ان لك عقلا ؟ » فبهت الرجل ولم يحر جوابا . واذا كان الانسان لا يعلم كنه عقله فكيف يعلم خالق العقل تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . ولا بأس بذكر حديث جرى بين جماعة من اهل العلم كانوا محيطين باستاذ كبير عظيم الشأن فقال له احدهم « لماذا لا يستجيب الله دعاءنا في رفع ما نزل بنا مع تضرعنا والحاحنا في المعابد ؟ » فتبسم الاستاذ وقال : « لان كل واحد تخيل في ذهنه الها بكيفية ذهنية نشأت عن عقيدة تلقاها من مربيه او معلميه فرسخت في ذهنه صورة معنوية . وهذه الصورة اله مجعول اوجده في خياله ولذلك لا يسمعه اذا دعاه ولا يقدر على كشف ضره . فلو لاحظ في وقت عبادته ان الخالق سبحانه وتعالى اقدس واجل مما قام في ذهنه وعبده بشعور ملازم له في كل حركة ولفظ حال عبادته من بدايتها الى نهايتها لاستجاب له . ولكن في الوقت الذي يريده المدعو لا في الزمن الذي يطلبه المخلوق . وارى اننا قصرنا في عبادة ربنا واعرضنا عنها وحصرنا اوقاتنا كلها بطلب المعيشة والتجارة والصنعة والسياسة، مستغنين عن العبادة ، معتمدين على حولنا وطولنا ، فاقتضت ارادته ان يؤدبنا بضروب من البلايا والمصائب ، لنرجع اليه ونتوب اليه توبة نصوحا » .

٤ ـ الدكتور هشام شرابي

ولد « هشام » في مدينة يافا بفلسطين عام ١٩٢٧ وانهى دراسته الابتدائية في مدرسة الفرندز برام الله ودراسته الثانوية في الجامعة الاميركية ببيروت عام ١٩٤٣ وواصل دراسته الجامعية فيها ونال منها شهادة بكلوريوس آداب عام ١٩٤٧ وقصد الولايات المتحدة في نفس العام والتحق بجامعة شيكاغو واحرز شهادة ماجستير عام ١٩٤٨ وكان موضوع الدراسة التي قدمها « نظرية القيم » . وفي عام ١٩٤٩ بارح بيروت الى الولايات المتحدة ودخل جامعة شيكاغو وحصل منها على الدكتوراه عام ١٩٥٣ وموضوع الاطروحة التي أعدها « العلاقات الحضارية بين الاسلام والمسيحية في القرن الحادي عشر » والتحق بجامعة جورج تاون كاستاذ للتاريخ الاوربي الحديث وسياسة العالم العربي الحديث .

وفي عام ١٩٧٠ جاء الى الجامعة الاميركية في بيروت استاذا زائرا لمادة « القضايا السياسية والاجتماعية في العالم العربي الحديث » وفي عام ١٩٧١ عاد الى كرسيه في جامعة جورج تاون بالولايات المتحدة .

من آثاره القلمية : نشر « هشام » مقالات في مجلة « العروة الوثقى » التي كانت تصدرها جمعية « العروة الوثقى » في الجامعة الاميركية ببيروت وفي جريدة « النهضة » البيروتية وفي « ميدل ايست جورنال » و « كرنت هستوري » و « موسلم وورد » . ومن آثاره المطبوعة :

١ ـ السياسة والحكم في الشرق الاوسط ـ طبع عام ١٩٦٢
٢ ـ القومية والثورة في العالم العربي ـ طبع عام ١٩٦٦
٣ ـ المقاومة الفلسطينية في وجه اسرائيل واميركا ـ طبع عام ١٩٦٩
٤ ـ الفدائيون الفلسطينيون ـ طبع عام ١٩٧٠
٥ ـ المثقفون العرب والغرب ـ طبع عام ١٩٧٠
٦ ـ المقاومة الفلسطينية في وجه اميركا واسرائيل ـ طبع عام ١٩٧٠
٧ ـ الفدائيون الفلسطينيون : صدقهم وفاعليتهم ـ طبع عام ١٩٧٠ (باشراف مؤسسة الدراسات الفلسطينية) في بيروت .

نموذج من نثره : « ان اسرائيل مثل الولايات المتحدة تبني استراتيجيتها على مبدأ الاستعداد التام ، على اساس نظرية القوة الكاملة . وهي سياسة قائمة على الاعتقاد ان المطمح الاول والاخير لعدوها هو العمل على تحطيمها ، وان ما يحول بين العدو وبين تحقيق هذا المطمح هو ادراكه مناعتها التي لا تقهر من جهة ، وادراكه ضعفه وتعرضه لخطرها من جهة ثانية ، ومن هنا كان هم هذه السياسة الاول هو تعيين النفقات اللازمة للاحتفاظ بالتفوق العسكري (المناعة ، وبتقدير صحيح لمدى وعي العدو لهذا التفوق وردة فعله عليه .

فعلى اسرائيل ان تتبع سياسة « عدوانية » ليس فقط لاعتبارات استراتيجية (وضعها الاقليمي ، طول خطوط حدودها ، قلة عدد سكانها ، الخ) ، بل لانها ايضا في جذورها قامت على أساس حركة استعمارية . فهي تتصرف استنادا الى معرفتها انها في نظر خصومها ليست « دولة » بل « مغتصبة » اي قوة دائمة على ارض محتلة . لذلك استندت علاقتها مع خصومها الى القوة دون سواها ، وهي علاقة مجردة من اية اسباب شرعية تسمح بالمساومة على اساس الند للند . فالتسوية لمصلحة اسرائيل في نظرها ينبغي ان تحقق عن طريق القوة وهي ترى ان خصمها يجب ان لا يكون له الا موقف واحد في المساومة هو موقف المغلوب ، وهذا يعني الاقرار بواقع الحال . وبالنظر الى ما ينجم عن ذلك من غياب الشرعية الملزمة ، فعلى الخصم ان يظل خاضعا لتهديد مستمر فعال ، وهذا يتطلب بالضرورة اتخاذ وضع هجومي ليس فقط في الحرب بل في السلم ايضا . وهكذا تصبح ديبلوماسية « التفوق » شرطا لكل مسعى غير عسكري . فما هي اهداف هذه الديبلوماسية ؟ انها بكل بساطة ابقاء الخصم بصورة مستمرة في وضع المتلقي ، فيكون بصورة دائمة متلهفا لان يتقبل ما يقدم له ، ولكنه دائما يكون غير قادر على تقرير ثمن ما يتقبله ، وهذا هو البديل عن الشرعية التي تنظم العلاقات بين الغالب والمغلوب ! وعلى هذا ، فمن خصائص الديبلوماسية الصهيونية في هذه المرحلة ان لا تعمل على حل النزاع بل على اطالته ، اذ ان حل النزاع ، منطقيا، يتطلب التنازل واعادة مكاسب حصلت عليها بالقوة . وهذا لا يحد من اتجاه الاستراتيجية الاسرائيلية التوسعية فقط ، بل أيضا يقوض الاسس التي اقيمت عليها . فالاسلوب الاول الذي تنتهجه الديبلوماسية الصهيونية هو ايجاد الظروف والاحوال التي توقف النزاع موقتا ، ولكنها لا تسمح بدخول اي عنصر جذري جديد الى الوضع الراهن . فبعدم الالتزام وخلق المسافة الفاصلة ومنع الاحتكاك او توجيهه ، يتم قيام وضع راهن على اساس امر واقع نشأ بالقوة ، ثم تخلق احوالا ملائمة للتوازن ينبثق منها مع مرور الزمن شعور جماعي ومنفعي متبادل بين الطرفين ، وتقيم الفائدة التي يجنيها المغلوب ، بالضرورة ، على اساس اقتصادي . فاي ربح ، مهما كان الربح ضئيلا ، يعتبره المغلوب منحة وحافزا للقبول .

سببت التحركات من الجانب العربي باتجاه التسوية (منذ بروتوكول جنيف في ١٩٤٩ حتى الان) حرجا فائقا لاسرائيل وكانت دوما موضع رفضها القاطع ، فموقف بورقيبة التوفيقي لم يؤد الى ارتياح تل ابيب بل سبب قلقا عميقا في اوساط الزعامة الاسرائيلية. ذلك ان اعتماد موقف التسوية من جانب اسرائيل يستدعي تحولات جذرية في تفكيرها الديبلوماسي ـ العسكري والانتقال من موقع الهجوم الى استراتيجية التوفيق والتسوية ، وهنا يصح القول ان اسرائيل تحتاج الى نحو خمسين سنة من الاحتكاك والتوتر حتى تستطيع بناء قاعدتها الاقتصادية واشادة مؤسسات قوية ومستقرة يكون بمقدورها

ما انت ؟

تری هل تساءلت ما أنت ؟ كيف تسلل روحك يوما لجلدي
وكيف غدوت نشيدي ، ولاح شراعك في الافق ندا لوعدي
وكيف منحت لقلبي الحياة واخمدت بين الجوانح حقدي
وكيف غدوت ضميري ، وكيف حطمت برغم رحيلك قيدي

أتعرف يا أنت ما أنت عندي أراك اختصرت جميع البرايا
واني أنا قد نفذت اليهم لانك تكمن بين الحنايا
تسربلني بسكون اليقين وتنضو عن القلب ثقل الخطايا
وتغمرني بالنقاء وتسكب دفءا يذيب صقيع العشايا

أنا ما تساءلت ماذا تكون عرفتك لغزا طواه المساء
حببتك .. يكفي بأني حببت أقمت .. رحلت .. لدي سواء

دمشق سلافة العامري

توفير شروط من التوازن ذات الطابع الدائم . وهكذا نجد انه من زاوية النظر الاسرائيلية السائدة ، فان الوصول بالنزاع الى نهايته يتعذر قبل وصول تكتيك الحرب المتمادية الى اقصى حدودها حيث تصبح عندها غير ذي جدوى . وهذا الهدف لا يمكن بلوغه قبل التوصل الى مركز سيطرة .

ان هذه الاستراتيجية الديبلوماسية ـ العسكرية تعطي الاولوية لسياسة التوسع الاقليمي ، والتوسع هو نتاج سياسة القوة ، غير انه ايضا رد فعل ل « محيط مستسلم » ، وفي ذلك يقول آرثر كوستلر « صهيوني سابق » : « ان المحيط المستسلم هو بمثابة فراغ وحافز مستمر على زيادة التوسع » ولكن بعد تجاوز نقطة معينة يصبح التوسع مضرا باسرائيل .

فما هي اقصى حدود التوسع الاسرائيلي ؟ ان تقريره نهائيا يتوقف ، بالدرجة الاولى ، على نتيجة النزاع الديبلوماسي ـ ـ العسكري ، غير ان التخطيط العام للتوسع الاقليمي للدولة اليهودية دلل عليه ناطقون كثيرون باسمها منذ ١٩١٩ . ومن احدث البيانات في هذا الصدد، ذلك الذي ادلى به رئيس وزراء اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ (كما رواه رولو) حيث قال : « نحن لسنا على استعداد لان نتخلى عن قيراط واحد من اراضينا ، فعلى المفاوضات ان تبدأ من الاعتراف بالحالة الراهنة للاراضي المحتلة . كانت فلسطين قد قسمت اثناء الحرب العالمية الاولى بمقتضى اتفاقية سايكس ـ بيكو ، ثم قسمت مرة ثانية بخلق تشرشل للاردن ، وجرى تقسيمها للمرة الثالثة في ١٩٤٧ ، ونحن لن نوافق على تقطيع رابع لاوصالها .. لم يبق اكثر من ٢٠ الف كيلو متر من فلسطين القديمة ، واننا نأمل ان يتمكن يهود الاجيال القليلة المقبلة من الهجرة من روسيا واوروبا والولايات المتحدة » .

فقناة السويس في مصر ، ونهر الليطاني في لبنان ، وجبل الدروز في سورية ، وحدود الاردن الشرقية ، هي حدود « اسرائيل الكبرى » المقبولة لدى الرأي العام الاسرائيلي من غاهال الى الجناح الصهيوني في الحزب الشيوعي .

والهدف الذي تأمل اسرائيل تحقيقه هو ان تحيط ذاتها بسلسلة من الدول الضعيفة الثانوية ـ دولة مارونية ، ودولة درزية و « دولة فلسطينية » ودولة كردية ـ في المساحة الممتدة من الخليج العربي الى البحر المتوسط ، وان ترفع بالقوة علم « نجمة داود » فوق المنطقة بأسرها . ومن المبادىء الاساسية للاستراتيجية المتشددة التي هي الاساس القائم عليه تفكير اسرائيل السياسي والعسكري ضرورة خوض حرب دفاعية دائما خارج حدود اسرائيل وعدم السماح باختراق تلك الحدود على الاطلاق . من هنا ان حرب العصابات والحرب الشعبية للتحرر ما داما غير خاضعين لهذا المبدأ ، فهما يمثلان تهديدا يتطلب استراتيجية من نوع اخر ، وعلى هذا فان الحرب الدفاعية هي بالضرورة وقائية » .

عمان ـ الاردن البدوي الملثم

مع ارتفاع الطائـرة في الاجـواء الفسيحة شعرت بسعادة لا حـدود لها فتنهدت بعمق ولثوان حسبتهـا دهورا ، ثم التفتت فجأة كمن تذكر شيئا وصوبت نظراتها نحـو الممـر الضيق للطائرة ، توقفت عن التأمل لان زوجها عـاد يتدحرج بجسمه المكور وقـد انشرح صدره وبانت اساريره منفرجة ، فلمت نفسهـا واستعدت متحفزة ، ثـم ترددت كثيرا قبل ان تهدأ وتدفن مشاعرها في اعماق ضياعها ، وتطلعت اليه من زاويتها الخاصة فرأتـه كعادتـه مبروم الجسم مؤدبا ، يتعرق مـن يديه ويقف امامها مرتبكـا كبعض الكلاب المهذبة ، وتساءل بغيظ عـن معنى التصاقه بها عن مشقة هـذا الامتزاج الغريب بينهمـا . وبشيء من السخرية تعترف بـان هـذا الاحمق الذي يتهيأ للجلوس امامهـا ما هو الا عريس الغفلة او ما يسمونه عادة بزوج القسمة والنصيب .

فستانها الذي ترتديه وردي وله ياقة واسعة كالبحيرة ، ومـن حول عنقها يتدلى عقـد ابيض وطويـل يتناسب مع لون الحذاء والحقيبة . جسمها طويـل ومتناسق يسنده عنق متطاول ولطيف . ومـن بطني اذنيها تتحاور بانسجام حبتي فيروز شديدتي الكبرياء . قرصت اذنيهـا وهي تتجنب احراج وجوده ، لقـد سئمت الجدال والحـوار الباطني وتمنت لو تعيش مع انسان اخـر يبهجها فتنطلق علـى سجيتهـا كالنسمة المزهرة . لقد حاولت كثيرا وفي حالـة يأس ان توجـد بعض الحيوية المشتركـة بينهمـا ، لكـن ضيق صدرها وحبها للحياة كانـا بمثابة زمارة الاستيـاء في لفتاتها الحائرة ، فتنفر منه ومـن القيـود وتنكمش علـى نفسها كالحيـوان البري ، وتبدأ من ثم في نسج اطـار لولبي حولها ، يقيها سماجة الحياة المتجسدة في صورته وحركاته .

واكن غالبا مـا يكون انكماشها مبررا فتقلبه الى تعليقات ساخـرة تهدىء نوعا من ثورتهـا . وبحركـة لا شعورية وعـن غير قصد ترفـع ياقتها الواسعة وتنظـر الـى عبها الاسمر » الى الممر المقفل في صدرها وترنو الى ما تحت ، حيث تستقـر نظراتها بكآبة عارمة . لقـد اجابت العيون النهمة المتسائلة بانهـا تحب الاطفال ، وعندما كانت تشتم رائحة الخبث والشفقة في اعينهم تدعـي بانها لا ترحب بهم الان حفاظا علـى رشاقتها .

حقا انها لا تريدهم منه ، كما انهم مصدر شغب بالنسبة اليه ، ومـن يعلق على ذلك فهي بدورها لا تـرى مبررا لوجودهم . لقد قامت بتربية اخوتها حتى بات لا ينقصها شيء في



بقلم رجاء ابـو غزالة

هذا المجال ، حتى التفكير في تربيـة مزيد منهم ولـو كانوا اطفالها يثير الهلع في قلبها . الا ان هذا الهلـع يختفي اذا ما وجد فارس احلامها . وتلوي عنقها برقة حالمة ، ويتـورد خداها كصبية مراهقة ثـم تتنفس الصعداء . ولكن سرعان مـا تجعل كالغزالة التائهة ويرتطم وجودهـا الهلامي بسماكة وجوده الحيوانـي فترتجف ، وتشم رائحـة جسمه المعطر تنفذ الى خياشيمها كرائحـة فروة حيوان يحتك بطنـه بالارض



ويتعرق .

مررت اصابعها المتناسقة فـوق جبينها عدة مرات ثم التفتت اليـه هاتفة :

« اني لا ارى احدا في الطائرة » .

« ومن يسافر في مثـل هـذه الظروف » تنحنح وهـو يعـدل جلسته .

لقد استراح بعد دخوله الحمام ولو رايته قبل ذلك بدقائق .. لقد بدا ككرة من المطاط تكاد تنفجر .

« ماذا تعني ... الحرب هيـه هزت كتفيها ثـم تأملت السمـاء وطبقة الغيوم المندوفـة في الفضاء ، فتمنت لـو تحوم فـوق بطانية الريش . انـه شعور ساذج مـن الراحة . ثم اكملت بشهية واقتناع « الحرب صحة وضرورة » .

قهقه بامتعاض ولم يتكلم .

« هل تعلـم » رفعت حاجبيها بسخرية « لقد بدات اسأم الحياة » .

في المقاعد الخلفية ، رأت رؤوسا منخفضة وصفحات الجرائد تهتـز فاطمأنت بان حديثهما لـن يتطاول الى الخلف . ولكنه امرها بالصمت، فكشرت عن انيابها الجميلة واشرأب انفها الدقيق بحساسية مرهفـة ، اما عينيها الواسعتين فتذبذبت ، ثم تسمرت فـوق صلعته البيضاوية ونفرت باستياء طفولي .

ولم تتساءل هـذه المـرة كيف باستطاعة هـذه الكرة مـن اللحم والشحم ان تحشر نفسها في المعطف والسروال لانها غالبا ما تشهده وهو في معركة ابدية من الشد والرفس ، وكثيرا ما يشتد به اليأس والحنـق وهو يراقب نظراتها الباردة المتابعة فيدخل الى الحمام ويقفل عليه ، ولا يلبث حتى يخرج وقد انحشر كـل دمه في خديه المتورمتين ... ويا له من منظر مثير للاستهزاء فتضحـك وتغلب عليها حالة شيطانية فتغرق نفسها والهواء مـن حولها بسخرية لا تطاق ، ولطالما حللت زواجها منـه والظروف المؤسفة المحزنة التـي

ربطت مصيرها بمصيره . وعندما تغضب من حالتها تمعن في اذية نفسها ، فتحتك به كمن يحتك بضبع ، فيقشعر بدنها وتحس بلذة غريبة وممتعة بان حالتها ميؤوس منها ، وبأنها تعيش في بيت الضبع وتنام في سريره .

من قال بأنها تخاف منه ، فالفقر الذي عانته طفولتها علمها الوقاحة، افهمها معنى الحياة قبل اوانها ، فعرفت اشياء كثيرة كالفضائح ، واسرار الجيران ونقل الكلام والعناية بصغار العصافير من اخوتها . لقد استيقظت وغفت على رائحة التبغ التي كانت تعبق في بيتهم الصغير الوضيع في احد الازقة ... تعرفت ايضا على وجوه كثيرة ممسوخة ، معذبة ، تدين وتدان كالعملة الفضية تتقاذفها الايدي القذرة المتصلبة ، لقد تنسمت قدرها في عيون الشباب النهمة ، تلك العيون لم ترحم براءة لفتاتها وانطلاقة شخصيتها الجريئة .

لقد كان للقيل والقال ولا زال وزنه في مجتمعها المتواري، المتخلف، وكان لسياط الثرثرة اثر بعيد في رفع مستوى الحقير او تحطيم عفة بيت مستور بسيط الحال .

كما باستطاعةمجموعة من الوجوه الجوفاء المزمومة بالكراهية ، الجالسة عند المقهى ان تحدثك بثقة وخبرة عن مشية الفتاة وعن مدى طهارتها .

انها تذكر كل هذه الوجوه لانها مطبوعة في مؤخرة ذاكرتها .. فغالبا ما تهب كالسياط ، فتلجمها بعناد وتنطلق بعيدة كالعصفور الهزاز في عينيها غمزة رائعة وفي انفها عروق تنبض بالحياة والحرية معا .

رأته يخرج من جيب معطفه علكة ويفرغ في فمه حبتين ثم يعطيها الباقي ، ووجدت الفرصة مناسبة لتلوك بعض ما عندها ، فشكرته في سرها ، ومددت قدميها براحة عميقة ، وتمنت في تلك اللحظة لو يموت لان الشاب الذي يجلس في المقعد امامها ، يقرأ ويلتفت ، ثم يقوم ويقعد ، ويشعل السجائر وكأنه طفل يتلهى بعيدان الكبريت ، فسرت ووجدت منفذا رائعا على البحر .

حدقت في راس الشاب الغريب والتفتت الى راس زوجها ، واخذت تتسلى في تعريب مزايا كل واحد منهما على حدة .. وكانت تقهقه بين الفينة والاخرى في سرها وترسم اشارات في الهواء . اما الزوج فقد بدا يفقد صوابه وبانت الغيرة واضحة في عينيه الواسعتين المتدليتين كعيني كلب الصيد، واخذ يصدر من فمه قرقعة عالية ، ودفع بالعلكة بعصبية الى اسنانه الامامية زاما شفتيه الغليظتين ، وبدأ عملية قضم اطراف العلكة وهو ساهم وقد ظهرت عيناه من اثر شعاع الشمس المنعكس عليهما كعيني ارنب هادىء يقضم جزرة .

ويقوم الشاب الجالس في المقعد الامامي ليعدل اتجاه انبوب الهواء بعيدا عنه فيسلطه عفوا باتجاه الزوج .. فيعتبر الاخير بأن حركته اهانة مقصودة وموجهة ضده لاغاظته فتتغير معالم وجهه للتو ، وبندفع الدم الى وجهه ويدفع العلكة بدوره الى فكيه ليقوما مقام المطبعة في طحن مشاعره يمينا ويسارا . فهو بصحيح العبارة يشعر بأن في صدره « وابور كاز » وهناك ايد ناعمة تحقنه على الطريقة القديمة لحواء ...

ويا لها من قطعة معروقة ، ذئبة نارية ، سيعرف كيف يمرغ انفها في التراب كما سبق ومرغت انفه في الوحل ، فهو رغم حنقه واشتعاله يذكر جيدا يوم زواجه منها ، اجل يذكر وجهها وهي تبكي في الغرفة في مصيف « شتورة » وعندما سألها بصوت ناعم ، عم تبكي وردته اليانعة ، اشمأزت وبصقت في وجهه ، فمسح رذاذها المعطر وتعلق بحبال الصبر . لقد حسبها خائفة منه !!! كفى كفى .. يا له من مأفون ، غرير ، عريس الغفلة لقد صدق حدسه عندما جاءته عمته متباكية . ما رأيك لو تتزوجها يا ابني ، من احق الناس بها غيرك ، كفى كفى ، لقد كان زواجه منها مجرد ستر للحقيقة المرة ، عض على اصابعه وهو في غفلة من الذكرى .

اهتزت في مقعدها كاللعبة وهي تنظر اليه من زاوية جفونها المسبلة وتمد رجلها اليسرى الى الامام .. انها تنزلق بجسمها الى اسفل ، وتمعن بالحذر « وماذا لو رآها » .

كانت تبحر النظر في الفراغ الازرق امامها وكأنها في غيبوبة من اللذة المبهمة البكماء . فهي تريد ان يراها وهي تغازل الشاب الغريب لتذله .

وتترك السماء وهيبتها لتحول انتباهها الى وجه المضيفة الجميل وهو يشرقويضيء ، فتشعر بحسد خفيف يعوم فوق ذاتها ، كما يعوم الزيت في بئر عميقة . هناك ثمة شيء مفقود يترك فراغا في جوفها ، يفتت احاسيسها ، فتضيع في مجاهلها وتذوب ، تختفي فيها بلا تحفظ .

وتعود بها الذكرى الى الوراء عندما كانت تبكي وراء الباب لان الضبع يشدها بذراعيه السميكتين، فهو يريدها وبسرعة لكي ينقضي امر ما ، ويعلن على الجميع بانها عذراء وزوجة مصونة .. ولانها ليست كذلك بكت لا خوفا بل قهرا من هذه الاسرار الاجتماعية المحبوكة حولها كخيوط عنكبوت مارد لا عيون له ، يلمسها ويدب فوق صدرها بخفة وثقل الحياة ، وتئن في جلستها ، تمؤ كالقطة الجالسة بجوار موقد كبير وتنظر اليه بوجل ...

انه يعلك بلا نهاية . ها هي تشعر

بالتعب فتتسلل الى عينيه المفتوحتين بتفاهة ، وتتمطى ، ثم تتجاذب اطراف الحديث مع عبها السحيق اللامتناهي ...

وتتمايل الطائرة فينطلق صوت الكابتن بهدوء وحزم منبها الى ربط الاحزمة جيدا لان هناك طائرة اسرائيلية تحاول ملاحقتهم . وتهب وقد وضعت يديها على اطراف المقعد في تحفز ، وينظر اليها وقد اصفر لونه . ومن المقاعد الخلفية علت همهمة ، اما الشاب فقد التفت اليها وتأملها طويلا ، وهي بدورها تأملته وضحكت ، فابتسم وادار لها ظهره بدفء ، فاعجبت بوسامته وشعرت بفرح عظيم . اما الزوج فلم ير لانه كان مشغولا ، يضرب اخماسا بأسداس ولكنه التفت اليها فجأة وقال « لقد كان من الخطأ ان نطير في مثل هذه الظروف » .

« هيه ، وماذا في ذلك ، اننا لم نمت بعد » ولكنها ما لبثت ان هتفت :

« هل تعلم بأن السماء هي اجمل بقعة لتبادل الحب » .

ويأمرها بالصمت لانها وقحة ، قليلة الادب فتبرم فمها غير عابئة .

ويحدق في شكلها العام ويسرح في تصوراته لها وهي في الغرفة ، يغلفها شبه حياء وشبه تمنع وهو يحاول ضمها اليه ، فلم يكن يفهم حينذاك سر تمنعها . انها حلاله ، اليس كذلك ؟ زوجته على سنة الله ورسوله ، لهذا كان يجمع كامل قوته وبعض شجاعته وينقض عليها . لكنها كانت تثور وتتحفز فيرتد مذعورا لا شك بأنها تخاف من منظره ، ويستعد مرة اخرى ويقترب منها بهدوء « ما بالها تنوح كالقطة الشرسة ، تشد الغطاء على نفسها كالبلهاء » ويقف وسط الغرفة ليتفقد هندامه ويمشط شنبه ثم يتناول زجاجة عطر « سوار دي باري » ويدلقها على صلعته ماسحا يديه بصدره ، مفكرا . ما زالت القصة على ما هي، لم يطرا عليها التغيير ، زمجر مقهورا وهي تعترف بفعلتها الفظيعة مع شاب مجهول ، اعتدى عليها .

لم يطردها كما توقعت ، بل احتفظ بها كالجوهرة الثمينة ، او هكذا اوحى اليها ، المهم انه لم يطلقها لستر صلة القرابة ، وربما ايضا حفاظا على سمعته كتاجر مرموق . ما يؤلمه انها لم تشعر بالامتنان . انها ناكرة للجميل ، وقحة لا تخافه ولو اعلن سرها على الملأ .

وهي تعلم بأنه يحبها ومتعلق بها كسلة التين ، مغرم بها الى ابعد الحدود ، ولكنها لا تدري ما هو سبب تعلقه بها هذا .. فبامكانه نبذها ، ولكن يبدو بانه عنيد ولسبب ما لا يريد الانفصال عنها . لقد طلبت منه ان يتركها بسلام ، فرفض ، رفض بقوة وكان دوما يتودد اليها كالطفل ثم يجفو وينعزل عنها فلا تكترث له ...

انها تشعر ببساطة بانه لا يشبع فصولها ، فهو لم يكن في يوم ما حلمها ، او المثل الاعلى للرجل بالنسبة لها . انه مجرد كومة من اللحم والاعصاب تطفو في محيط حياتها كسمك الجيلي ، تطفو وتعوم من التيار بلا هدف . انه لا يحوز على مشاعرها ، لا ينيرها ، لذلك فهي تعبد الاثارة والشغب وتبحث عنهما كالفأرة ، لوحدها وبأنانية وكبرياء صارخ لا يدانيهما شيء .

ومن قلب الصمت تسمع ضجيجا في داخلها وفي خارجها . لقد عادت الطائرة الى الاهتزاز ولكن بقوة وبعنف لم تشعر معهما بوضعها الحقيقي . ارتجفت اعصاب جفنيها وتوترت ثم ضاقت وكأنها تنظر في ظلام دامس ، وادركت بأن الطائرة تهوي والرصاص يلاحقها كوابل المطر ، انها مجرد لحظات ولكن اللحظات تمتد الى دقائق ، الى هزات أشبه بالهزات الارضية المخيفة ، ورات زوجها منبطحا على الارض تحت قدميها وهو يرتجف بهلع وهي معلقة من وسطها فوق المقعد الامامي المجاور لمقعد الشاب،

ولم تدرك في بادىء الامر لماذا لم يلتفت اليها الشاب ، لقد بدا لها شراعا خفيفا يرتج فوق صخب الامواج بلا اكتراث حتى انها هفت اليه بشوق وجمال طير الماء . وبثقل ينبع من اعماق تعبها حركت يدها اليسرى باتجاهه فسقط رأسه الى الامام وظل هكذا لفترة طويلة .

انتفضت بقوة من موضعها المتدلي ووقفت بصعوبة على قدميها، ولكنها صرخت بحدة عندما سمعت صرير صوت زوجها آتيا اليها من قاع حذائها . مم يخاف هذا البالون المضحك ؟ تمركزت فوقه بشدة كي لا تقع ، وبدهشة عميقة رات خيط من الدماء يسيل من جانب رأس الشاب فأدركت شيئا مرعبا لم تستوعبه وعيها قبل لحظات فاخذت تصرخ في كل اتجاه ووسط كل هذا الضجيج وبأعلى صوتها وبحرية كاملة . ووجدت بان الصراخ يريحها ويصم اذنيها عن الواقع الاليم ، والمستقبل الميت ، ووجدت بهذا الصراخ منفذا واسعا لتنفيس ما كبتته طوال حياتها من شذوذ واعوجاج . ورات في رأس زوجها مسرحا فسيحا لالعابها البهلوانية فاخذت تقفز فوقه وتتسلى في تعذيبه وصراخه يعلو على صوت المعركة . لقد حاول الافلات من براثنها ولكن وضعه والارتجاجات المستمرة كانت تفشل محاولاته .

واخيرا ومن خلف الصمت الذي بدا يجد طريقه الى جو الطائرة بعد هروب الطائرة المغيرة بدا الطيار يرتفع رويدا ليحلق من جديد بعدما تظاهر بمهارة بأنه يهوي الى الموت . ووجدت نفسها ترتمي في مقعدها منهكة وزوجها يتحامل على

حنين

★

رحماك يا ظمآن في صدري — كم ذا تغالبني على امري
يا قلب دار الحب نائية — ماذا تفيد سفاسف السحر
تبكي ولكن دونما امل — وتثور لكن ليس من يدري
حملتني ما لا يطاق فهل — خففت عن صدري وعن ظهري
الشوق داء لا دواء له — ـ مهما تشاكينا ـ سوى الصبر
شبنا ومر الشهد في فمنا — هل بعد هذا الليل من فجر

لم يبق من عهد السعادة ما — يغوي ومن ريّاه ما يغري
بعنا باوهام الغنى وطنا — حصباؤه اغلى من التبر
عبثا نقول لقد نعود غدا — شط الحمى الا عن الفكر
يا صاحبي متنا بغربتنا — ما الفرق بين الموت والهجر
ليت الشراع اضاع دفته — يوم النوى ، والريح لم تجر
ضعنا وضيعنا هويتنا — يا قلب شكوانا الى الشعر

بوانس ايريس ـ الارجنتين — زكي قنصل

نفسه ويقوم مترددا .

رفعت يدها الى خدها الساخن ، فلمست نبعا صغيرا من الدماء ، وكاللبوة الحائرة بدأ القلق يلمع في حدقتيها الواسعتين الى اقصى حدود . ثم اخذت الافكار تتثاقل في رأسها وتنحسر كالذبابة الطنانة . انها تفكر الان وذهنها يصفو كتلال من الرمال الصحراوية ، ولا تلبث ان ترى كرة الشحم تأخذ لها مكانا وشكلا منطقيا الى جانبها ، وتسمع ببلاهة صوت الطيار من خلف المذياع يهتف مطمئنا ، في صوته بحة وشفافية رائعة . انه يهنيء من سلم ويأسف على من فاتته فرصة الحياة .

وتأتي المضيفة وهي تحبو على ركبتيها وقد تعفر جمالها ، واخذت تتفقد الركاب بصوت هستيري حاد ، ويمد لها الزوج اصبعه المقطوع وهو يصيح بهلع ، وقد علت صدغيه كدمات بلون النيل .. اما هي فقد كانت تجلس محنية الرأس تحدق في عبها الاسمر السحيق ، وتتطاول بنظراتها الساهمة الى بطنها المكور ، الحامل بآلاف الديدان الوهمية . ومن الفجوة القائمة بين المقعدين الاماميين كانت تداعب يدها يد الشاب الميت، في شبه محاولة يائسة .

جدة ـ السعودية — رجاء ابو غزالة



من وحي فلسطين ـ في غمرة النكبة

شعر كامل الدجاني ـ ٦٠ صفحة ـ طبع بيروت

اذا كانت قيمة الشعر بما يثير في النفس من عاطفة وما يبعث في الكيان من هزة ، وبما يبث في العقل من هدف ومثل ، فان لشعر الاستاذ الكبير كامل الدجاني في مجموعته « في غمرة النكبة » هذه القيمة الفنية العالية .

ولست أسمي المجموعة ديوانا لانها تقع في ستين صفحة من القطع المتوسط ، ولكنها كذلك اذ تجمع نماذج من شعر الاستاذ الدجاني ما بين سنتي ١٩٢١ و١٩٧٢ . واذا كانت هذه المجموعة الموجزة لا تستطيع ان تصور فترة طولها خمسون سنة ، فان النماذج المختارة قد مثلت مراحل النضال الفلسطيني ضد الهجمة الصهيونية الاستعمارية طوال هذه الفترة .

ان هدف الاستاذ الدجاني من اصدار مجموعته ، كما يعرب هو عنه في مقدمته الموجزة الانيقة ، ان « اعبر عن الفلسطيني كما أحسه، وكما اراه » . وهو يفرغ هذا التعبير في ابواب ثلاثة : ١ ـ في الغمرة ، ٢ ـ الوحدة ، ٣ ـ بوادر النكبة ولا ريب ان في تنظيم قصائد المجموعة ، وعددها ست وعشرون ، من التفنن الادبي ما يحمل القارىء على البدء من البداية والسير مع المجموعة في تتابع قصائدها الى النهاية ، على الرغم من ان ترتيب القصائد جاء معكوسا في الغالب ، فالاحدث نظما ورد قبلا .

ولعل من المفيد هنا ، وجناية الصهيونية والاستعمار على فلسطين والعالم العربي ما نعلم ، ان نعرف القارىء الكريم الى الاستاذ كامل الدجاني ، بالاشارة الى ترجمة حياته الواردة في عدد مارس ١٩٧٢ من « الاديب » للمرحوم البدوي الملثم . ونحن قد عرفنا الاستاذ الدجاني رجلا من سراة يافا وفي المقدمة من اوساطها الاجتماعية والسياسية وزعيما من زعماء فلسطين واولى العلم فيها والادب . وقد وفرت سعة الرزق له يومئذ الانصراف للقضية الفلسطينية والانفاق عليها من ماله وجهده . اما الان فهو نزيل بيروت منذ النكبة الاولى ، وقد ذهبت عنه السعة وتحول كل شيء الى ما يعبر عنه بقوله من قصيدة « لاجئون » :

الناس ياوون الى دورهم   يلفهم من ظلها مد
ونحن لا دار ولا ظلة ،   ياوي الينا الحر والبرد
الناس يغدون لارزاقهم   ونحن لا يؤذن أن نغدو
نبيت لا ندري أياتي غد   بالرزق ام لا رزق من بعد

والاستاذ الشاعر الكبير لا يصور في هذه القصيدة نفسه وحسب، وانما يصور سائر اللاجئين الذين هم عنده « رهن اعتقال ، سوى ان لم يكن سجن ولا قيد » . ومع ذلك فان هذا التصوير المروع لاوضاع اللاجئين لا يغفل عن حق اللاجئين في وطنهم وعن انهم اذا طالبوا بهذا الحق فازوا ، ولذلك يكتمل للصورة المعنى الفني الملتزم ، بالقول :

يا ايها الشعب تجلد ، ولا   تهن ، لانت الصابر الجلد
الى روابيك اتجه كلما   يحلو لك الليل ويربد
هنالك الموعد والملتقى   والدار والافياء والورد
(بكسر الواو)

وقد نظمت هذه القصيدة في مطلع سنة ١٩٥٠ ، اي بعد النكبة باقل من سنتين .

وبعض الناس يتحدث ، كما يعلم القارىء، عن « خيانة » الفلسطينيين او تقصيرهم ، وبعضهم يتبجح ب « العلم » بأن الامة العربية فاشلة بطبعها وان لا امل فيها ، وغيرهم يقول بمثل هذا القول القاصر ، جاهلا او متجاهلا ان النظرة الموضوعية العلمية تضع الفلسطينيين والعرب على سواء مع غيرهم من شعوب العالم ، ان لم تضعهم في سوية اعلى بسبب من سوابقهم الحضارية وتراثهم العريق . اما الاستاذ الدجاني فمزود بهذه النظرة العلمية ، بل يضيف اليها ان المشكلة في الهزيمة للان هي الضعف السياسي العام في وقت كان الفلسطينيون قادرين ، لو خلوا وشانهم ، على دفع الغزوة الصهيونية في مبدئها . ولكن القيادة العربية آنئذ غررت بهم وحالت دون تمكينهم من الدفاع عن انفسهم . الاستاذ الدجاني ضليع من هذه النظرة ، ولذلك يقول :

يا وطنا ضاع ولم نحمه   غزاه لا كفؤ ولا ند
يا وطنا لم نوفه حقه   عفوك ! انا فاتنا الرشد
نمنا على وعد بني قومنا   لشد ما خدرنا الوعد
لكان ابقى لو فنينا على   ثراك اذ جد بنا الجد

ويعلم شاعرنا السياسي ، خلاف ما يدعيه دعاة البطل والهزيمة ، يعلم ان للباطل جولة ، وان الحق لا يضيع ووراءه مطالب ، ولذلك يستطرد في قصيدته « عهد » فيقول

لنغسلن العار عن جبهة   بيضاء قد لوثها الكيد
لنستعيدنك يا موطنا   تطل من افيائه الخلد

والاستاذ الشاعر يؤمن بالشعب ويؤمن بحقه في وطنه ، ويعلم ان النكبات تجارب تكسب الشعب خبرة ومضاء وقوة ، وان تقهقره خطوة يقدمه مع النضال خطوات ، ولذلك يقول للشعب الفلسطيني في قصيدة عنوانها « ١٩٤٨ » :

لقد قست الخطوب عليك جدا   وفي الغمرات يمتحن النجار
وقد صهرتك منا النار صهرا   وفي حر اللظا يصفو النضار
تماسك في العواصف ما اكفهرت   لك العقبى وللبغي الدمار
تماسك ثم كر فليس الا   صراع واقتحام وانتصار

وعلى هذا النسق الاخاذ تمضي قصائد المجموعة ومقطوعاتها في اجزائها الثلاثة . ومع ان الاخيرة هي الاقدم ، فان الاستاذ الشاعر قد اصاب في ترتيبه هذا ازاء اهتمام القارىء .

هذا وفي النهاية الفت النظر خاصة الى قصيدة « دوحتي » ، فهي تمثل معنى « الوطنية » لدى الاستاذ الشاعر . انه معنى واقعي نفاذ يذكر بالمعاني الرحبانية الفيروزية التي تستقر في اعماق النفس استقرارا رسيسا لا يزول . المعنى البسيط الذي اغفلناه حين حببنا اوطاننا الى ابنائنا فلم ننجح النجاح كله ، لاننا كلمناهم بلغة العواطف والشعارات والانشاء اللغوي . اما الاستاذ الدجاني فيتكلم بلغة الارض والبيت والقباب التي بنى ، والجنان التي غرس ، والعيون التي فجر بيديه ، والحياة التي انشأ بجده وعمله . انه يقول ، وكأنه يتذكر « بياراته » في يافا :

في روضي الخصب الندي   غرست دوحي بيدي
ربيتها كريمة   كما اربي ولدي
غذوتها عصارة الرو   وذوب الجسد
اغدو لها بالامل الحالم   في كل غد
مستبشرا بالبرعم الرطب   وبالغصن الندي
حتى استوت باسقة   في حلل الزمرد
في جدة دائمة البشر   وظل سرمدي
يصدح في اجوائها   كل شجي غرد

ثم يقول :

يا بنت احلامي وكدحي   في طويل الأمد
لا بد من عود الى   الظل الظليل الفرد
لا اترك الدوحة نهبا   للعدو اللدد

وهكذا تطل مجموعة الدجاني الشعرية معرضا فنيا جميل التنسيق رائع القسمات جديد الاثر . ان كل قصيدة فيها لوحة ، وكل لوحة تستدعي التأمل والمعاودة . والاداة قوية كما ترى والالوان منسجمة والايحاء ايجابي عميق . ولعل المدارس الفلسطينية والعربية تضع هذه المجموعة ومثلها تحت يد كل طالب في المرحلة الثانوية وما بعدها . انها مجموعة جيب يتزود منها القارىء في غدوه ورواحه . ومع ان دار النشر مغفلة الذكر فان الواضح ان المجموعة قد صدرت في بيروت اواخر سنة ١٩٧١ .

عمان ـ الاردن   محمد اديب العامري

•

عباس العقاد ناقدا

تاليف عبد الحي دياب ـ ٨٧٣ صفحة ـ منشورات الدار القومية للطباعة والنشر بالاشتراك مع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة

هذا الكتاب له اهمية بالغة باعتباره اول الرسائل الجامعية في دراسة العقاد : نقده واثره ، وواحدا من اهم الكتب الكثيرة التي تناولت سيرة العقاد وتراثه .

ولقد نال به مؤلفه درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها « فرع النقد الادبي والبلاغة » بتقدير ممتاز من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في يوليو سنة ١٩٦٤ . والجدير بالذكر ان المؤلف نال بعد ذلك درجة الدكتوراه عن كتابه الثاني « عباس العقاد شاعرا » .

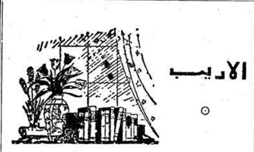
ومن المهم والمفيد قبل ان نتناول هذا الكتاب بالعرض والتحليل ان نشير ـ بايجاز ـ الى حياة العقاد ، حتى تكون ماثلة امامنا ونحن نتعرف على الجانب النقدي في شخصيته .

ولد في اسوان يوم ٢٨ يونيو سنة ١٨٨٩ لابوين شديدين في التدين، وتلقى تعليمه في الكتاب ، ولكنه لم يلبث ان تمرد على نظام معلمي الكتاتيب ، فنفر من معلمه ومن الكتاب ، ولم يرجع اليهما مرة ثانية . ثم تلقى العديد من الدروس العلمية والادبية على يد استاذه « احمد الجداوي » القاضي الشرعي ، وهو واحد من الذين حضروا مع الشيخ محمد عبده دروس الثائر جمال الدين الافغاني . وقد راح يطلع على ودائع « دولاب المنظرة » في بيته ، وكان يحتوي على صحف ومجلات يومية واسبوعية وشهرية ، ويرى العقاد ان هذا الدولاب كان السر في دفعه الى صناعة القلم ، فيقول : « ربما كانت سهولة الكتابة عندي نتيجة مستفادة من سهولة القراءة ، ولم اكن قارئا الا لانني ساكون كاتبا يوما من الايام متى تيسرت الاداة » .

وكان العقاد منذ نعومة اظفاره ميالا الى الانفراد والتأمل ، وقد راوده امل الاشتغال بصناعة القلم والصحافة ، فترك الدراسة وهجر الوظيفة الحكومية ، وعمل بصحيفة « الدستور » مع فريد وجدي . وكان مختصا بباب الاحاديث مع كبار الساسة والادباء ، مما اتاح له فرصة التعرف على كثيرين من كتاب عصره ، وفي مقدمتهم : عبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري وميخائيل نعيمة .

ولقد شارك في الحركة الوطنية المصرية منذ اوائل هذا القرن ، فخاض بقلمه الكثير من المعارك في ميداني : الادب والسياسة ، فكلما

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

•

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

☎ الادارة ٢٢٣٨١٩   Dir : 223819
☎ المنزل ٢٢٥١٣٩   Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

انتهت معركة استئناف اخرى ، وقد دخل السجن ، وقضى فيه تسعة اشهر بتهمة العيب في الذات الملكية ، وخرج منه وهو اكثر قوة ووطنية، واخذ يشق طريقه برغم كل الظروف التي احاطت به ، فقد كان فقيرا ، ولم ينل من الشهادات الا الابتدائية ، ومع هذا قفز الى الصفوف الامامية بين ادباء وكتاب عصره ، وظل يواصل العطاء ، حتى اختاره الله الى جواره في ١٢ مارس ١٩٦٤ عن ٧٥ عاما وقد ترك تراثا ادبيا ضخما يزيد عن ٨٠ كتابا في النقد والشعر والرواية والفلسفة والتاريخ والحضارة .

ولعل الجانب النقدي في شخصية العقاد يعتبر من الجوانب الهامة فيها ، ذلك انه يمكن ان يعد مدخلا لبقية الجوانب الاخرى ، وبالتالي فقد اختار المؤلف هذا الجانب وجعله موضوعا لكتابه القيم الذي ينقسم الى ثلاثة ابواب تبرز الجانب النقدي عند العقاد ، فالباب الاول يتناول: « ميزاننا في النقد وموقف العقاد منه » ، بينما يعالج الباب الثاني : « اتجاهات التجديد في النقد عند العقاد » ، اما الباب الثالث فيختص « بآثار واتجاهات التجديد في النقد عند العقاد » .

ويرى المؤلف ان الميراث النقدي قبل العقاد اتجه في اتجاهين :

الاتجاه الاول : ما حدث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكان بعثا ويقظة فقط ، لانه رجع بالنقد الادبي الى عصور ازدهار العربية في نقدها وادبها في القرن الرابع الهجري وما تلاه .

والاتجاه الثاني : ما تلا هذا البعث وتلك اليقظة من حركة التجديد في النقد الادبي ، فالدارس لها يرى ان روحا قومية سرت في البلاد وتمثلت في الشعور بالقومية ، وكان من نتيجتها قيام الثورة العرابية ، حيث ظهرت بشائر هذه النهضة الادبية مع طلائع الثورة . وفي ذلك يقول العقاد في كتابه : « شعراء مصر وبيئاتهم » : « ظهرت نهضة شعرية انتشلت الشعر من التقليد الضعيف ، او التقليد للتقليد ، الى الابتكار الناشيء عن شعور القومية » .

ولقد استطاع العقاد ان يتصدر حركة التجديد في الادب والنقد العربيين ، فحدد معالم ثورة مدرسة الديوان ، فنادى بضرورة ادخال روح الاستقلال في الادب ، ودعا الى الصدق في التعبير ، وارسى قيم هذه المدرسة على اسس علمية ، وربما نتساءل ما هي اهداف مدرسة الديوان ؟.. ويحدثنا العقاد عن اهدافها فيقول : « واوجز ما نصف به عملنا ـ ان افلحنا فيه ـ انه اقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما ، واقرب ما نميز به مذهبنا انه مذهب انساني مصري عربي » .

والحق ، ان العقاد يعد امام مدرسة الديوان مع صاحبيه : المازني وشكري ، فقد كان من اوائل النقاد العرب الذين حددوا اتجاهات التجديد في نقدنا الحديث ، وكان صاحب نظريات في الشعر والنقد ، ولا جدال ان طبيعة العصر كانت مهياة ـ آنذاك ـ لظهور هذه النظريات في ميدان النقد ، ويقول المؤلف : « ان نظريات العقاد كانت باعثا على التحرر من الجمود الذي كان يسود في ميدان الادب والنقد في تلك الحقبة من تاريخ ادبنا ونقدنا ، ولا سيما ان العقاد لم يأخذ الاشياء بظاهرها السطحي البراق ، وانما كان يتعمقها حتى يصل من دراسته الى جوهرها الصميم » .

ان النقد عند العقاد كان يقوم على الفلسفة الجمالية التي كانت تتمثل في النظريات الكلية كالجمال والعاطفة والذوق ، وقد وضحت وحدة شخصية العقاد من وراء مبادئه ونظرياته ، ويرى المؤلف ان ذلك الوضوح يتمثل فيما يلي :

ـ استفادة العقاد في نقده من العلوم الانسانية التي تدرس نشاط الانسان بوصفه انسانا ومن هنا استطاع ان يفلسف النقد الادبي للكشف عن قيم انسانية من القيم التي تشغل الفكر الانساني في سبيل معرفة مصائره في هذه الحياة ، ليهتدي الادباء الى اداء رسالتهم الانسانية .

ـ اعتداد العقاد بشخصيته مما كان له اكبر الاثر في دعوته الى الاصالة والصدق، وبذلك قضى على شعر التكسب والتزلف، ودعا الى استقلال الشاعر في التعبير عن نفسه ، وان يكون تعبيره موافقا لمزاجه وطبعه ، لا تكلف فيه ولا اختلاق .

كان العقاد في نقده ينظر الى العمل الادبي نظرة كلية بوصفه وحدة كاملة ، اذ انه لا ينظر الى جزئيات العمل الادبي على اساس جمالها في ذاتها ، ولكن لما يتطلبه موقعها من جملة العمل الادبي ، عن طريق ادراك العلاقات بين اجزاء العمل الادبي .

وفي ختام هذه الدراسة السريعة ينبغي ان نوضح الحقائق التالية من خلال عرضنا للجانب النقدي في شخصية العقاد .

أ ـ ان العقاد كان صاحب فلسفة متكاملة الجوانب في النقد الادبي، وهذه الفلسفة وافية الابعاد ، حيث تربط الادب بذات الكاتب ، كما تربط الادب بنزعة انسانية عميقة ، وبفلسفة فنية اعمق .

ب ـ ان العقاد كان اول ناقد عربي دعم نقدنا على اساس نظري وعملي سليم يتمثل في النظريات الجمالية العامة والاسس والمبادىء التي استخدمها في مجال التطبيق .

جـ ـ ان العقاد خطا في تاريخ النقد العربي خطوات سبق بها الجامعات العربية حين دعا اليها ، بل ان العقاد سبق بها اقرانه الجامعيين في جيله وعصره .

وبعد ، فان هذا الكتاب القيم لجدير بدراسة اشمل واعمق ، وليس ما ذكرناه هنا سوى لمحات سريعة ، ولعلها تكون تحية وفاء للعقاد في ذكراه الثامنة التي مرت منذ فترة غير طويلة دون ان نحتفل بها بما يليق بمنزلة هذا الكاتب الكبير .

مصر الجديدة — **عبد الرحمن طاهر شلش**

●

الرصافي .. آراؤه اللغوية والنقدية

تأليف الدكتور احمد مطلوب ـ ٥٢٦ صفحة ـ معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة

ظفر معروف عبد الغني الرصافي بمنزلة عالية في قلوب محبيه وعشاق ادبه فهو الوطني الحر الذي صور واقع العراق خير تصوير في قصائده وكتاباته وكان يتحسس بالام شعبه ويعبر عما يدور في خلدهم من امال فقد كان على معرفة تامة بما يقاسيه الشعب العراقي من مرارة الحكم الفاسد ومساوئه لانه انبثق من بين صفوف الجماهير وكان جريئا غاية الجراة في مجابهة الظلم والطغيان حيث قارع السلطان عبد الحميد العثماني بقصائد عصماء كان لها شان يذكر . كما انه كان منددا بالحكم الانكليزي الجائر فوقف منه موقف المناضل الغيور وصب جام غضبه على حقيقة ذلك الحكم وما ينطوي عليه من دسائس وما يضمه من مثالب وعبر بصدق عن قضايا الانسان وعانى في سبيل صراحته المتناهية الاضطهاد والتشريد ولم تصرفه الاجراءات التعسفية عن اداء رسالته الوطنية وانما واصل كفاحه وجهاده المقدس في سبيل تحقيق اماني شعبه ومطامحه حيث كان وثيق الصلة بذلك الشعب الذي نذر نفسه لخدمته وراح يتغنى المواطنون بشعره الوطني وقصائده الاجتماعية التي سارت مسرى الامثال .

ولعل من ابرز صفاته انه كان صلب العقيدة قوي العاطفة نقي الضمير وكان شعره مرآة انعكست عليه تطلعات شعبه المكافح الى الاستقلال والحرية وشعره يشف عن شعور راق وخيال خصب وذوق سليم وعاطفة مشبوبة فضلا عما يمتاز به من جمال اللغة ولطافة الاسلوب وصفاء الديباجة .

والرصافي بعد كل هذا مثار حركة فكرية دائبة جعلت الباحثين ان

يتصدوا الى تناول جوانب كثيرة من تلك الحركة التي كان يقودها بكل اخلاص وصدق فكتبوا الكثير من المقالات والبحوث والدراسات التي القت الضوء على حياته وادبه .

والدكتور احمد مطلوب ممن اسهم في الكتابة عن هذا الشاعر العراقي الكبير وتتبع آثاره الادبية وعني عناية فائقة بشعره وتناول دراساته اللغوية والنقدية الحديثة فدرسها دراسة وافية .

وقد القى هذه الدراسات كمحاضرات في معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة ثم جمعها في كتاب اطلق عليه اسم « الرصافي آراؤه اللغوية والنقدية » يتضمن خمسة ابواب هي : حياته ، آثاره ، آراؤه اللغوية ، آراؤه النقدية ، مقالاته اللغوية والادبية

وقد قسم هذه الابواب الى فصول عديدة وختم الكتاب بالفهارس وهي آثار الرصافي ، المصادر والمراجع ، الموضوعات ، الاعلام . وقد اتيح لي ان اطالع الكتاب فاجد فيه متعة ادبية ومادة غزيرة كما انني لمست الجهد الضخم الذي بذله المؤلف في اخراج هذا السفر القيم .

وكانت الفصول التي تتناول اراء الرصافي في اللغة هي الفصول البكر التي دلت دلالة اكيدة على ان المؤلف ذا باع طويل في هذه الناحية فقد كشف بما لا يرقى اليه النقد .

ان الرصافي كان الى جانب شاعريته الفذة لغويا بارعا يعرف تمام المعرفة دقائق اللغة العربية واشتقاقاتها واستعمال الفاظها في مكانها الملائم . كما ان الرصافي كان ياخذ باستعمال الكلمات الشعبية الشائعة في شعره وفي كتاباته النثرية لكي يستطيع افهام سواد الناس بمضمون افكاره وآرائه .

وقد رايت الدكتور احمد مطلوب في كتابه هذا اديبا متمكنا من بحثه فقد اوتي نصيبا وافرا من الثقافة الواسعة والمعرفة العميقة .

كربلاء – العراق **سلمان هادي الطعمة**

•

ادبـاء الجيـل الغاضب

تاليف الدكتور محمود السمرة – ٢٤٨ صفحة – منشورات مكتبة عمان – لم يذكر اسم المطبعة

لا يزال الدكتور محمود السمرة يخرج علينا بين حين واخر ، بكتاب ما ان نسمع به – نحن طلابه – حتى نبادر الى شرائه متنظرين ان نعرف اشياء جديدة عن الادب العالمي ، ولكن فالنا يخيب ، عندما نجد اننا قد قرانا الكتاب مفرقا من قبل في المجلات الشهرية التي يواصل المؤلف نشر مقالاته فيها .

وقد اعتاد المؤلف ان يجمع مقالاته في كتب مثل « مقالات في النقد الادبي » و « غربيون في بلادنا » وهذا الكتاب « ادباء الجيل الغاضب » ولكن قراءتنا السابقة لمواد الكتاب مفرقة من قبل لا تصرفنا عن اعادة قراءتها مجمعة في كتاب مرة اخرى ، ولعل السبب في ذلك – علاوة على طرافة الموضوعات – هو اسلوب المؤلف الذي يجمع بين الوضوح والدقة والاناقة في وقت واحد . ولن يحس الانسان بطرافة اسلوب هذا المؤلف الا اذا سمعه باذنه وهو يتحدث وجلس امامه وهو يحاضر .

وقد تتلمذت عليه – شخصيا – اربع سنوات ، كنت خلالها انتظر محاضرته دائما بمزيد من الشوق لاجلس امامه مباشرة في اول صف من المقاعد ، لكي لا تفوتني منه عبارة او كلمة او اشارة .

وكنا لا نزال نترسم اسلوبه من خلال ارشاداته لنا ، يحضنا احيانا على قراءة المازني ، ويمنعنا احيانا اخرى من استعمال التعبيرات القديمة من مثل « زاد الطين بلة » .. وسواها ، داعيا ايانا الى وجوب الابتكار دوما .. ولذلك لا تراه يستعمل في كتاباته تعبيرات قديمة الا في اضيق الحدود .

وهذا الكتاب الذي نحن بصدده الان ، هو مجموعة مقالات عن الادب الغربي ، كان قد نشرها في مجلتي « افكار » الاردنية و «العربي» الكويتية ، خلال السنوات الماضية .

والمحور الذي يدور عليه الكتاب هو التعريف بتلك الحركة الادبية التي نشات في الغرب بعد الحرب الثانية ولا تزال حتى الان ، وهي حركة (الادب الغاضب) الثائر على ما اصطلح عليه المجتمع في اغلب النواحي .

ويبدأ المؤلف كتابه بالفصل الذي كان قد كتبه في مجلة « افكار » عن « ازمة الانسان في الادب المعاصر » ، لكي يقسم ادباء هذا القرن في الغرب الى ثلاثة اجيال ، اختلفت نظرتها الى الانسان فالجيل الاول شغله موضوع الموت ، والجيل الثاني شغله البحث عن قيم ، والجيل الثالث ثار على التقاليد والمقدسات .

ويردف المؤلف هذا الفصل عن مسرح اللامعقول كخطوة ثانية لبيان بعض نواحي الثورة على تقاليد الادب والمجتمع .

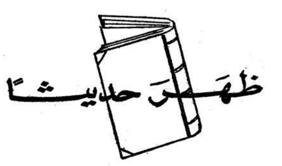
وبعد ذلك يملأ باقي الكتاب (من ص ٢٧ الى اخره) بترجمات لادباء الجيل الغاضب المعروفين وتحليلات لمؤلفاتهم ، من امثال : جون اوزبورن وجنتر جراس وجاك كرواك ... الخ ، وترجمات اخرى لادباء من الجيل الثاني ، امثال : جريهام جرين ووليم فوكنر وجون شتاينبك .. وغيرهم .

ويفرد فصلا لسومرست موم الذي لم ينطبق عليه تقسيم الاجيال الثلاثة ، وفصلا اخر عن اديبين غاضبين على مجتمعهما في القرن التاسع عشر ، هما : جوجول الروسي ، وجيته الالماني ، وكانه بذلك يقول ان ادباء الجيل الغاضب لم ياتوا بجديد ، فقد سبقهم الى الغضب بعض ادباء القرن الماضي .

ولكن المؤلف لم يتحدث عن ادباء الجيل الاول ، جيل : جيمس جويس وفرجينيا وولف وتوماس مان والسبب في ذلك انه لم يكن قد كتب عنهم في مقالاته الشهرية في المجلات ، (والكتاب في حقيقته جمع حرفي لمقالات سابقة) ، وهذا ليس ضعفا فقد كتب فصلين رائعين عن توماس مان في كتابه « مقالات في النقد الادبي » وهو لا شك قادر كذلك على الكتابة عن جويس وبروست وفرجينيا وولف وغيرهم من ادباء الجيل الاول في هذا القرن ، ولعله يفعل ذلك في القريب ، مواصلة منه في تثقيف طلابه وقرائه ، وتعريفهم بالادب الاجنبي في الغرب .

واخيرا ، تحية من قارىء الى مؤلف ، ومن طالب الى استاذ عمله تنشئة الاجيال وتهذيب العقول .

عمان – الاردن **حسين صباح**



● العوامل التي جعلت من النجف بيئـة شعرية ـ تاليف جعفر الخليلي ـ ٥٢ صفحة ـ منشورات جمعية الرابطة الادبية بمناسبة مهرجان النجف الشعري الاول ـ مطبعة الاداب بالنجف العراق .

● الليالي ـ للشاعر الفرنسي الفرد دي موسيه ـ تعريب الشاعر وجيه وهبة الخوري ـ مصمم الغلاف خالد علي سعد ـ ٨٨ صفحة ـ مطبعة العلم (؟) ـ (صدر في دمشق) .

● الحياة العلمية في الشام في القرنين الاول والثاني للهجرة ـ رسالة ماجستير ـ تاليف خليل داود الزرو ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الافاق الجديدة ببيروت ـ مطابع دار لبنان ببيروت .

● معروف الرصافي شاعر العرب الكبير : حياته وشعره ـ تاليف قاسم الخطاط ومصطفى عبد اللطيف السحرتي ومحمد عبد المنعم خفاجي ـ ٣٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام المصرية ـ سلسلة المكتبة العربية ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر بالقاهرة ـ المطبعة الثقافية بالقاهرة .

● الصهيونية بين تاريخين ـ القسم الاول للسفير عبد الله النجار والقسم الثاني للدكتور كمال الحاج ـ ٣٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ام عمارة الصحابية الباسلة ـ تاليف عبد العزيز الرفاعي ـ ٨٠ صفحة ـ الكتاب ٦ في سلسلة المكتبة الصغيرة ـ شركة مطابع الجزيرة المتز (الرياض) .

● اللذة الهاربة ـ مجموعة شعرية ـ اسكندر غانم ـ الغلاف لرشيد وهبي ـ ١٤٤ صفحة ـ صدر في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ساخذ بثاري ـ تاليف البارونة اوركزي ـ ترجمة غبريال وهبة ـ الغلاف لاسماعيل دياب ـ ٢٧٢ صفحة ـ سلسلة روايات عالمية ـ منشورات المؤسسة العامة للتاليف والنشر ـ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .

● الام الزمن المعتم ـ مجموعة شعرية ـ فيصل السعد ـ الغلاف واللوحات الداخلية لنصر الدين طاهر ـ العناوين بريشة محمود الحايك ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات جمعية المعلمين الكويتية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حبي الكبير ـ مجموعة شعرية ـ اسمى طوبي ـ الغلاف لاسماعيل شموط ـ ١٢٤ صفحة ـ توزيع دار العودة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● دراسة في البيروقراطية السورية ـ تاليف سمير عبده ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة الافكار ـ منشورات دار دمشق بدمشق ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● النحلة تسبح الله : بلغة العلم ولسان الواقع ـ تاليف محمد حسن الحمصي ـ ٢١٢ صفحة ـ (صدر في دمشق) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نور ونار ـ ديوان شعر ـ زكي قنصل ـ طبعة جديدة مزيدة ومصححة ـ تقديم فؤاد الشايب ـ ٢٦٠ صفحة ـ صدر في بونس ايريس الارجنتين .

● الموسوعة الموجزة ـ تاليف حسان بدر الدين الكاتب ـ المجلد الاول ـ جزء ٣ ـ حرف ت ـ ٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الف باء / الاديب بدمشق .

● ظواهرية الوجود الجدلي : دراسة وجودية في النقيض ـ تاليف عدنان بن ذريل ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ مطبعة الاداب والعلوم بدمشق .

● قصص من المنصورة ـ تاليف شوقي وافي وعماد الدين عيسى وعبد العزيز الشناوي وسمير بسيوني ـ تقديم علي شلش ـ ١٠٦ صفحة ـ شركة بسيم للطباعة بالمنصورة .

● حب بلا حدود ـ قصة ـ تاليف عبد العزيز الشناوي ـ تقديم محمد عبد الحليم عبد الله ـ ١٨٨ صفحة ـ منشورات اصدقاء الكتاب ـ المطبعة الاهلية ومكتبتها بالسبتلاوين بمصر .

● بروق ورعود ـ مجموعة شعرية ـ شكر الله الجر ـ تقديم غنطوس الرامي ـ ١٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الثقافة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● همزات شيطان ـ رباعيات شعرية ـ رفيق فاخوري ـ ١١٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الفجر الحديثة بحمص .

● السجن ـ رواية ـ تاليف نبيل سليمان ـ ١٢٠ صفحة ـ منشورات دار الفارابي ببيروت ـ مطابع الامل ببيروت .

● الام ـ حكايات وقصص ـ تاليف فتحي الابياري ـ مصمم الغلاف حسين بيكار ـ ١٤٤ صفحة ـ مع عدة صور ـ سلسلة كتاب اليوم ـ منشورات مؤسسة اخبار اليوم (القاهرة) ـ مطابع الاخبار (القاهرة).

● ساهر يرعى النجوم ـ مجموعة شعرية ـ احمد دوغان ـ الغلاف لمنذر شرابة ـ ٩٠ صفحة ـ منشورات مكتبة الثقافة بحلب ـ مطبعة الضاد بحلب .

● خليل السكاكيني : المربي الاديب الانسان ـ تاليف حموده زلوم ـ ١٣٦ صفحة ـ المطبعة الفنية التجارية في عمان الاردن .

● الخليل بن احمد الفراهيدي : حياته وآثاره في المراجع العربية والاجنبية ـ تاليف كوركيس عواد وميخائيل عواد ـ ٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ صدر بمناسبة انعقاد مهرجان المربد الشعري الثاني والاحتفال بذكرى الخليل بن احمد الفراهيدي في البصرة من ١ ـ ٥ نيسان ١٩٧٢ ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ مطبعة الجامعة ببغداد .

● شروق الاسلام ـ مجموعة قصص تاريخية ـ تاليف ابراهيم المصري ـ ٢٣٠ صفحة ـ منشورات دار الشعب بالقاهرة ـ مطبعة الشعب بالقاهرة .

● العرب واليهود في التاريخ : حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الاثارية ـ تاليف الدكتور احمد سوسة ـ ٥٤٠ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة الكتب الحديثة رقم ٤٢ ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية مديرية الثقافة العامة ـ دار الحرية للطباعة ـ مطبعة الحكومة ببغداد.

● شعر الدعوة الاسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ـ جمعه وحققه ووثقه وشرح غريبه وترجم لاعلامه وصنع فهارسه عبد الله بن حامد الحامد ـ باشراف الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا ـ بحث قدم لنيل الشهادة العالية من كلية اللغة العربية بالرياض ونال درجة الامتياز ـ موسوعة ادب الدعوة الاسلامية رقم ١ ـ منشورات الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية كلية اللغة العربية بالرياض ـ ٦١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ضجة في الزقاق ـ رواية ـ تاليف غانم الدباغ ـ لوحة الغلاف لعبد الحميد الحيالي ـ ١٩٦ صفحة حجم كبير ـ ساعدت نقابة المعلمين على طبعه ـ مطبعة الاديب البغدادية ببغداد .

● الاتجاه الشخصاني عند خليل رامز سركيس في كتاب جعيتا ـ تاليف اميل مخلوف دكتور في الفلسفة من جامعة كمبردج ـ ٤٨ صفحة منها ٢٨ باللغة العربية ـ والباقي باللغتين الفرنسية والانجليزية ـ منشورات الندوة اللبنانية ببيروت ـ المطبعة الكاثوليكية ببيروت .